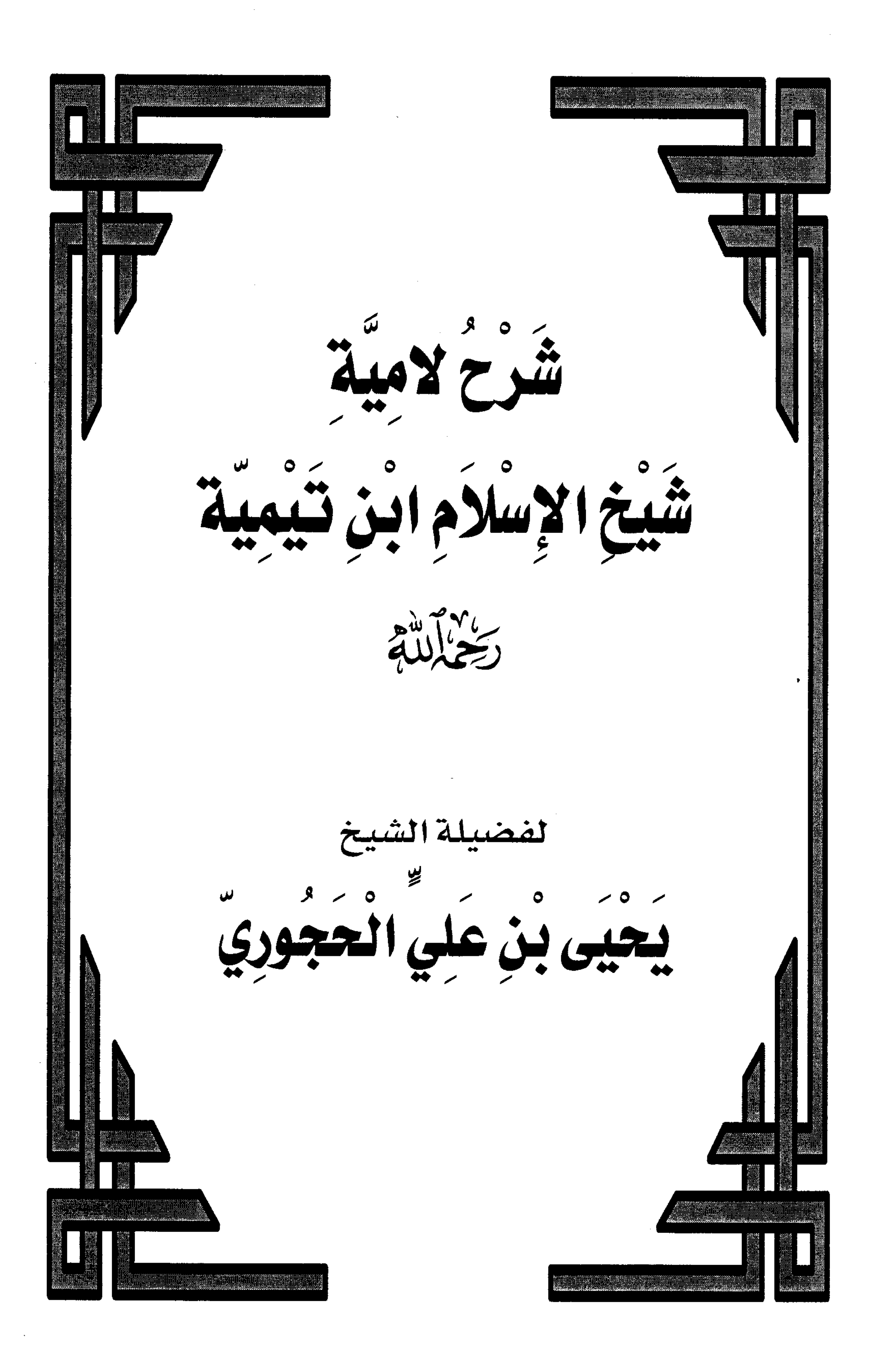


شرح
لامية شيخ الإسلام
ابن تيمية
رحمه الله
تأليف فضيلة الشيخ
أبي عبد الرحمن يحيى بن علي الحجوري
مكتبة الفلاح

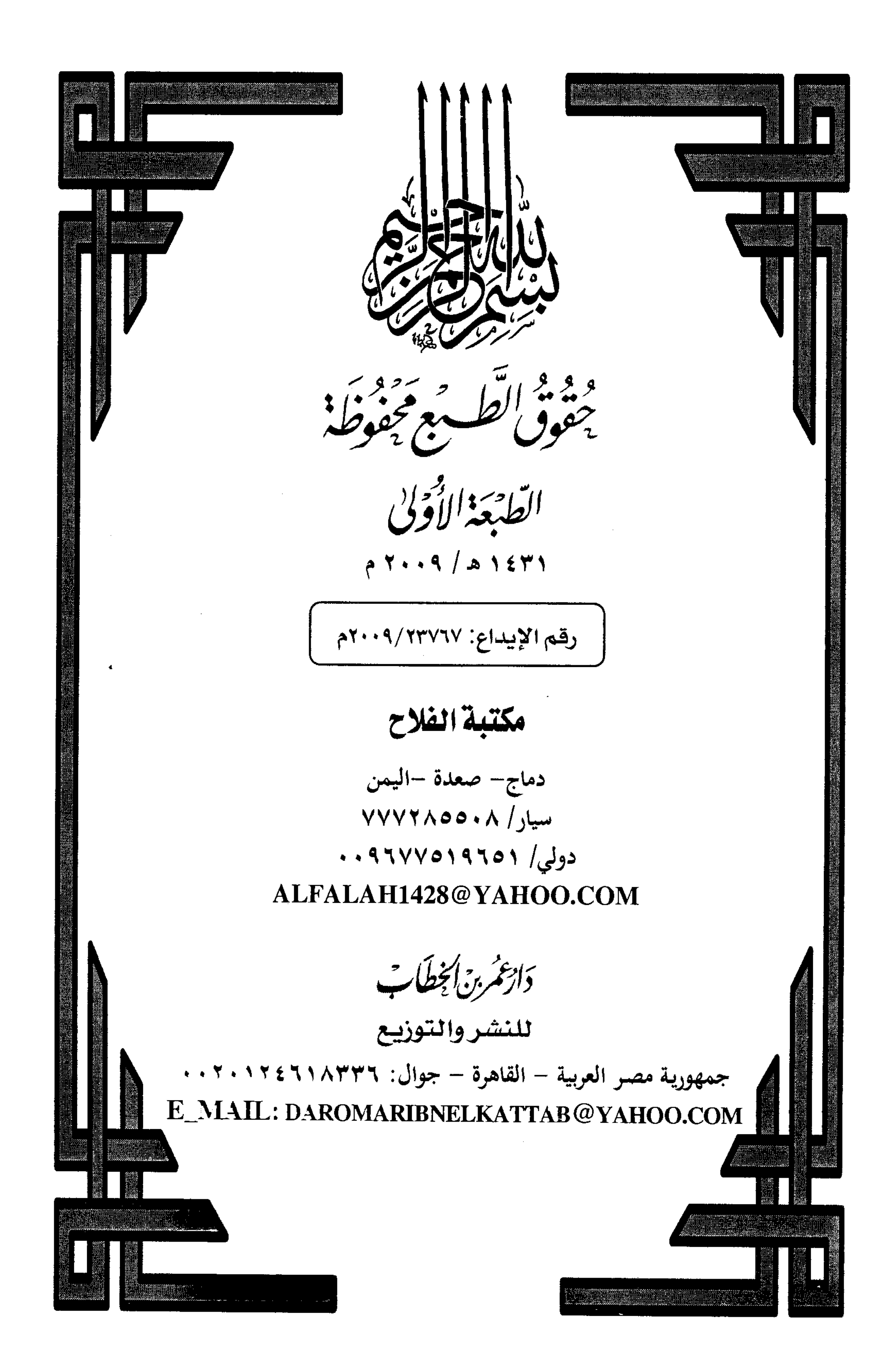


شَرْحُ لامِيَّةِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّة

رحمه الله

لفضيلة الشيخ

يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ الْحَجُورِيّ



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ / ٢٠٠٩ م

رقم الإيداع: ٢٣٧٦٧/٢٠٠٩م

مكتبة الفلاح

دماج- صعدة -اليمن

سيار/ ٧٧٧٢٨٥٥٠٨

دولي/ ٠٠٩٦٧٧٥١٩٦٥١

ALFALAH1428@YAHOO.COM

دار عمر بن الخطاب

للنشر والتوزيع

جمهورية مصر العربية - القاهرة - جوال: ٠٠٢٠١٢٤٦١٨٣٣٦

E_MAIL: DAROMARIBNELKATTAB@YAHOO.COM

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا ما يسره الله من التعليق المختصر على هذه اللامية المفيدة، وهي عبارة عن تعليق متوسط، حيث قرأها بعض طلابنا الصغار - حفظهم الله- قبل درسنا بين مغرب وعشاء، وعلقت عليها، وبعد رصها راجعتها وهذبتها مع زيادة وتعديل، راجيا من الله أن ينفع بها.

وهذه اللامية تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد شرحها أحمد بن عبدالله المرداوي، والظاهر أن شرحه لها أول شرح عليها، ولم يجزم بصحة نسبتها لابن تيمية، وإنما قال: لما وقفت على أبيات عديدة جامعة للمسائل المتفق عليها عند السلف مفيدة حاوية لأمهات مسائل الاعتقاد تنسب لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.اهـ

وذكرها العلامة نعمان بن محمود الألوسي رَحِمَهُ اللَّهُ في "جلاء العينين في محاكمة الأحمدين" (ص٥٧)، فقال: اعلم أولًا أن عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية الموافقة للكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة مستفيضة، مفصَّلة في تصنيفاته، وحبه وتعظيمه للصحابة الكرام، لاسيما الشيخين طافحة به عباراته، وذلك أظهر من الشمس في رابعة النهار،

خصوصًا لم تتبعها في تأليفاته، ونقلها بأسرها يفضي إلى الملل؛ إلا أنني أحرر ذلك البعض، وعن البحر اكتفاء بالوشل، فمن قوله: يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي... .

ثم ساق القصيدة بتمامها.

وأثبتها له الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد رحمه الله في "التنبيهات السنية شرح الواسطية" (ص١٢٧)، فقال: قال الشيخ تقي الدين رحمه الله في "لاميته" المشهورة: قبحًا لمن نبذ القرآن وراءه... إلخ.

ونفى ثبوت نسبتها الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله، فذكرها ضمن الكتب المنحولة على شيخ الإسلام من كتاب "المدخل إلى تاريخ شيخ الإسلام".

ونفى ثبوتها إلى شيخ الإسلام العلامة العثيمين رحمه الله في شرحه على "السفارينية" تحت رقم البيت (١٠٢) (ص٤٢٧) دار البصيرة، وقال في آخر كلامه عنها: الظاهر أنها لا تصح أصلًا عن الشيخ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٦/٢٩٧) في سياق رده على الأشاعرة: وقد أنشد فيهم المنشد:

قبحًا لمن نبذ القرآن وراءه ... فإذا استدل يقول قال الأخطل

فقول شيخ الإسلام وقد أنشد فيهم المنشد فيه أن قائلها غيره، ويحتمل أنه عنى نفسه والله اعلم.

قلت: وسواء ثبتت إلى شيخ الإسلام أم لم تثبت؛ فهي على معتقده ومعتقد غيره من أهل السنة؛ عدا ما نبهنا عليه كما سيأتي.

صُورَة الْـمَخْطُوطة الأُولى

فهذا يقع عليه الطلاق ... لا يقع ... في المذاهب الأربعة ... يكون ... الدخول ... بالمفارقة التي ... في ... والله أعلم

هذه عقيدة شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه [illegible]

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي	رزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع كلام محقق في قوله	لا ينثني عنه ولا يتبدل
حب الصحابة كلهم لي مذهب	ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدر علا وفضائل	لكنما الصديق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به	آياته فهو القديم المنزل
وأقول قال الله جل جلاله	والمصطفى الهادي ولا أتأول
وجميع آيات الصفات أمرها	حقا كما نقل الطراز الأول
وأرد عهدتها إلى نقالها	وأصونها عن كل ما يتخيل
قبحا لمن نبذ القرآن وراءه	وإذا استدل يقول قال الأخطل
والمؤمنون يرون حقا ربهم	وإلى السماء بغير كيف ينزل
وأقر بالميزان والحوض الذي	أرجو بأني منه ريا أنهل
وكذا الصراط يمد فوق جهنم	فمسلم ناج وآخر مهمل
والنار يصلاها الشقي بحكمة	وكذا التقي إلى الجنان سيدخل

صورة عن المخطوطة

ولكل حي عاقل في قبره	عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك	وأبي حنيفة ثم أحمد ينقل
فإن اتبعت سبيلهم فموفق	وإن ابتدعت فما عليك معول

تم [illegible]

هذه رسالة تنوع العبادات

لشيخ الإسلام

[illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل في العبادات التي جاءت على وجوه متنوعة قد تقدم القول في مواضع أن العبادات التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم على أنواع يشرع فعلها ...

صورة عن المخطوطة

صُورَة الـمَخْطُوطَة الثانية

هذه عقيدة الشيخ تقي الدين أحمد ابن تيمية

يا سائلي عن مذهبي وعقيدتي	رزق الهدى من للهداية يسأل
اسمع كلام محقق في قوله	لا ينثني يوماً ولا يتبدل
حب الصحابة كلهم لي مذهب	ومودة القربى بها أتوسل
ولكلهم قدر علا وفضائل	لكنما الصديق منهم أفضل
وأقول في القرآن ما جاءت به	آياته فهو القديم المنزل
وأقول قال الله جل جلاله	والمصطفى الهادي ولا أتأول
وجميع آيات الصفات أمرها	حقاً كما نقل الطراز الأول
وأرد عهدتها إلى نقالها	وأصونها عن كل ما يتخيل
قبحاً لمن نبذ القرآن وراءه	وإذا استدل يقول قال الأخطل
والمؤمنون يرون ربهم	وإلى السما بغير كيف ينزل
وأقر بالميزان والحوض الذي	أرجو بأني منه رياً أنهل
وصراط يمد فوق جهنم	فمسلم ناج وآخر مهمل
والنار يصلاها الشقي بحكمة	وكذا التقي إلى الجنان سيدخل
ولكل حي عاقل في قبره	عمل يقارنه هناك ويسأل
هذا اعتقاد الشافعي ومالك	وأبو حنيفة ثم أحمد ينقل
فإن اتبعت سبيلهم فموفق	وإن ابتدعت فما عليك معول

تمت العقيدة والحمد لله والمنة

الحمد لله سئل شيخ الإسلام أحمد بن تيمية عن رجل لم يصلي وتر عشاء الآخرة فهل يجوز له تركه أم لا أفتونا فأجاب رحمه الله الحمد لله الوتر سنة مؤكدة باتفاق المسلمين ومن أصر على تركه فإنه ترد شهادته وتنازع العلماء في وجوبه فأوجبه أبو حنيفة وطائفة من أصحاب أحمد والجمهور لا يوجبونه كمالك والشافعي وأحمد لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوتر على راحلته والواجب لا يفعل على الراحلة لكن هو باتفاق المسلمين سنة مؤكدة

صورة عن المخطوطة

مَتْنُ لامِيَّةِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللهُ

يَا سَائِلِي عَنْ مَذْهَبِي وعَقِيدَتِي ... رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايَةِ يَسْأَلُ

اسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ فِي قَولِهِ ... لا يَنْثَنِي عَنْهُ[1] ولا يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لِي مَذْهَبٌ ... وَمَوَدَّةُ القُرْبَى بِهَا أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وفَضَائِلٌ[2] ... لكِنَّما الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

وَأَقُولُ فِي القُرآنِ مَا جاءَتْ بِهِ ... آياتُهُ فَهُوَ الكَرِيمُ[3] الْمُنزَلُ

[4]وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ ... والْمُصْطَفَى الهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

وجَمِيعُ آيَاتِ الصِّفاتِ أَمُرُّهَا ... حَقًّا كَمَا نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

وأَرُدُّ عُهْدَتَها إلى نُقَّالِهَا ... وأَصُونُها عَنْ كُلِّ مَا يُتَخَيَّلُ

[قُبْحًا][5] لِمَنْ نَبَذَ [القُرآن][6] وراءَهُ ... وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ

والْمُؤمنون يَرَوْنَ حقًّا ربَّهُمْ ... وإلى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

وأَقِرُّ بالمِيزَانِ والحَوضِ الَّذِي ... أَرْجُو بأنِّي مِنْهُ رَيًّا أَنْهَلُ

وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ ... [فَمُسَلَّمٌ][7] نَاجٍ وآخَرُ مُهْمَلُ

والنَّارُ يَصْلاها الشَّقِيُّ بِحِكْمَةٍ ... وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

ولِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ في قَبْرِهِ ... عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناكَ وَيُسْأَلُ

هذا اعتقادُ الشافِعِيِّ ومالِكٍ ... وأبي حنيفةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

فإنِ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوَفَّقٌ ... وإنِ ابْتَدَعْتَ فَما عَلَيْكَ مُعَوَّلُ

---

(١) في المخطوطة (يومًا).

(٢) في "جلاء العينين": (ولكهلم قدر وفضل ساطع).

(٣) هكذا قلناه، وفي الأصل (القديم).

(٤) هذا البيت سقط من نسخة "جلاء العينين".

(٥) في المخطوطة و"جلاء العينين": (قبح).

(٦) في المخطوطة: (الكتاب).

(٧) في نسخة الألوسي التي في "جلاء العينين": (فموحَّد).

شَرْحُ لاميَّةِ شَيْخِ الإِسْلامِ ابْنِ تَيْمِيَّة رحمه الله

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

يـا سَـائِلِي عَـنْ مَـذْهَبِي وعَقِيـدَتِي ... رُزِقَ الهُـدى مَـنْ لِلْهِدايَـةِ يَـسْأَل

الشرح:

قوله رحمه الله: يا سائلي.

(يا) حرف نداء، (سائلي) منادى.

قال أبو البقاء في "الكليات" (١/ ٥٠١) والسؤال هو استدعاء معرفة، أو ما يؤدي إلى المعرفة، أو ما يؤدي إلى المال، فاستدعاء المعرفة: جوابه على اللسان، واليد خليفة له بالكتابة أو الإشارة، واستدعاء المال: جوابه على اليد، واللسان خليفة لها إما بوعْد أو برد، والسؤال يقارب الأمنية، لكن الأمنية تقال فيما قدر، والسؤال فيما طلب، فيكون بعد الأمنية والسؤال إذا كان بمعنى الطلب والالتماس يتعدى إلى مفعولين بنفسه، وإذا كان بمعنى الاستفسار يتعدى إلى الأول بنفسه، وإلى الثاني بـ(عن) تقول: (سألته كذا) و (سألته عنه سؤالا ومسألة) و (سألته به)، أي: عنه، في "القاموس" سأله كذا، وعن كذا، وبكذا. وقد يتعدى إلى مفعول آخر ب (إلى) لتضمين معنى الإضافة، والسؤال ما يسأل، ومنه: ﴿سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٣٦]، والسؤال للمعرفة قد يكون للاستعلام وتارة للتبكيت، وتارة لتعريف المسؤول وتبيينه، والسؤال إذا كان للتعريف تعدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه وتارة بـ(عن) وهو أكثر، نحو: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [طه:٨٥].

وإذا كان لاستدعاءِ مالٍ فيعدى بنفسه، نحو: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ [الممتحنة:١٠]، أو بـ(من)، نحو: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢].

والسؤال كما تعدى بـ(عن)؛ لتضمنه معنى التفتيش تعدى بالباء أيضًا؛ لتضمنه معنى الاعتناء، كذا في "أنوار التنزيل"، وسؤال الجدل حقه أن يطابق جوابه بلا زيادة ولا نقص، وأما سؤال التعلم والاسترشاد؛ فحقُّ المعلم أن يكون فيه كطبيبٍ يتحرى شفاءَ سقيمٍ فيبين المعالجة على ما يقتضيه المرض لا على ما يحكيه المريض، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال؛ تنبيهًا على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، ويسميه السكاكي أسلوب الحكيم... . إلخ.

قوله: مَذْهَبِي.

قال ابن منظور في "لسان العرب" (١/ ٣٩٤): والمذهب المعتقد الذي يذهب إليه.اهـ

وقال البهوتي في "المنح الشافيات" (١/ ١٢٠): والمذهب في الأصل: مكان الذهاب أو زمانه، أو نفس الذهاب، وعرفًا: ما قاله المجتهد بدليل ومات قائلاً به.اهـ

قال ابن مفلح في "أصوله": مذهب الإنسان ما قاله، أو جرى مجراه من تنبيه، أو غيره.اهـ

ومذهب شيخ الإسلام رحمه الله: المذهب الحنبلي، لكن لا بتقليد، ولا عصبية، فشيخ الإسلام متجرد للدليل، وكتبه شاهدة على ذلك.

قال الذهبي رحمه الله كما في "العقود الدرية" (١٣٢): وله باع طويل في معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقلَّ أن يتكلم في مسألةٍ إلا ويذكر فيها مذاهبَ الأربعة، وقد خالف الأربعةَ في مسائلَ معروفة، وصنف فيها، واحتج لها بالكتاب والسنة، وله الآن عدة سنين لا يفتي بمذهب معين، بل بما قام عليه الدليل عنده.اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ٢٠٨): وإذا نزلت بالمسلم نازلة؛ فإنه يستفتي منِ اعْتقد أنه يفتيه بشرع الله ورسوله من أي مذهب كان، ولا

يجب على أحدٍ من المسلمين تقليدَ شخص بعينه من العلماء في كل ما يقول، ولا يجب على أحدٍ من المسلمين التزامَ مذهب شخص معين غير الرسول ﷺ في كل ما يوجبه ويخبر به، بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ، اتّبَاع شخصٍ لمذهب شخص بعينه لعجزه عن معرفة الشرع من غير جهته إنما هو مما يسوغ له، ليس هو مما يجب على كل أحد، إذا أمكنه معرفة الشرع بغير ذلك الطريق، بل كل أحد عليه أن يتقي الله ما استطاع، ويطلب علمَ ما أمر الله به ورسوله، فيفعل المأمور ويترك المحظور، والله أعلم.اهـ

وسئل رحمه الله عن رجل تفقه في مذهب من المذاهب الأربعة، وتبصر فيه، واشتغل بعده بالحديث، فرأى أحاديث صحيحة لا يعلم لها ناسخًا، ولا مخصصًا، ولا معارضًا، وذلك المذهب مخالف لها، فهل يجوز له العمل بذلك المذهب، أو يجب عليه الرجوع إلى العمل بالأحاديث، ويخالف مذهبه؟

فأجاب رحمه الله: الحمد لله، قد ثبت بالكتاب، والسنة، والإجماع أن الله سبحانه وتعالى فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ﷺ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به وينهى عنه؛ إلا رسول الله ﷺ، حتى كان صِدِّيْق الأمة وأفضلها بعد نبيها ﷺ يقول: أطيعوني ما أطعت الله، فإذا عصيت الله؛ فلا طاعة لي عليكم. واتفقوا كلهم على أنه ليس أحد معصومًا في كل ما يأمر به وينهى.... . إلخ.

وقال رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٢٠/ ٢٢٤): وأما إن كان انتقاله من مذهب إلى مذهب لأمر ديني، مثل أن يتبين رجحانَ قولٍ على قولٍ فيرجع إلى القول الذي يرى أنه أقرب إلى الله ورسوله؛ فهو مثاب على ذلك، بل واجب على كل أحد إذا تبين له حكم الله ورسوله في أمرٍ أن لا يعدل عنه، ولا يتبع أحدًا في مخالفة الله ورسوله؛ فإن اللهَ فرض طاعة

رسوله على كل أحد في كل حال، وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ... .إلخ.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في (٢٢/ ٢٤٨): وإذا كان الرجل مُتَّبِعًا لأبي حنيفة، أو مالك، أو الشافعي، أو أحمد، ورأى في بعض المسائل أنَّ مذهبَ غيرِه أقوى فاتَّبَعَهُ؛ كان قد أحسن في ذلك، ولم يقدح ذلك في دينه ولا عدالته بلا نزاع، بل هذا أولى بالحق وأحب إلى الله ورسوله ممن يتعصب لواحد معين غير النبي ﷺ، كمن يتعصب لمالك، أو الشافعي، أو أحمد، أو أبي حنيفة، ويرى أن قول هذا المعين هو الصواب الذي ينبغي اتباعه دون قول الإمام الذي خالفه، فمن فعل هذا كان جاهلًا ضالًّا، بل قد يكون كافرًا؛ فإنه متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع واحد بعينه من هؤلاء الأئمة دون الإمام الآخر؛ فإنه يجب أن يستتاب؛ فإن تاب وإلا قتل.اهـ

قولهُ: وعَقيدَتِي.

قال الفيومي في "المصباح المنير" (٢/ ٤٢١): اعتقدت كذا: عقدت عليه القلب والضمير، حتى قيل: العقيدة ما يدين الإنسان به، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك. والاعتقاد: الحكم الذهني الجازم؛ فإنْ طابقَ الواقعَ فصحيح، وإلا ففاسد.اهـ

قال العلامة ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في "شرح الواسطية" (٣٣): اعتقاد: افتعال من العقد، وهو الربط والشد، هذا من حيث التصريف اللغوي. وأما في الاصطلاح عندهم: فهو حكم الذهن الجازم، يقال: اعتقدت كذا، يعني: جزمت به؛ فإن طابق الواقعَ فصحيح،

وإن خالف الواقعَ ففاسد، فاعتقادنا أن الله إله واحد صحيح، واعتقاد النصارى أن الله ثالث ثلاثة باطل؛ لأنه مخالف للواقع، ووجه ارتباطه بالمعنى اللغوي ظاهر؛ لأن هذا الذي حكم في قلبه على شيءٍ مّا كأنه عقده عليه، وشده عليه بحيث لا يتفلت منه.اهـ

وعقيدة شيخ الإسلام رحمه الله عقيدة صافية نقية مأخوذة من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ، كما تشهد بذلك كتبه النافعة كـ"الواسطية"، و"التدمرية"، و"الحموية"، و"اقتضاء الصراط المستقيم"، و"درء تعارض العقل والنقل"، و"بغية المرتاد في الرد على أهل الأهواء والإلحاد"، و"الجواب الصحيح"، و"قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة"، و"منهاج السنة النبوية"، وغيرها كثير.

وينبه أيضًا على أن بين العقيدة وبين التوحيد خصوص وعموم:

فالتوحيد يتعلق بألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، فهو: إفراد الله في الخلق، والملك، والتدبير.

والعقيدة أشمل من ذلك، العقيدة تتناول: الإيمان بوجود الملائكة، والصراط، والميزان، والحوض، والكوثر، والجنة والنار، ووجود الجن والسحر، ووجود أهل الحق وأهل الباطل، وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب العقيدة، وهذه المنظومة نموذج يسير منها.

فالعقيدة أعم من التوحيد من حيث: أنها تتناول ما ليس بتوحيد، الإيمان بالملائكة عقيدة، لكن ما يقال توحيد.

سؤال: هل الإيمان بوجود الجن توحيد؟

الجواب: ليس بتوحيد، إنما هي عقيدة صحيحة، هذه هي العقيدة الصحيحة، لا يقال: توحيد. فالتوحيد هو: إفراد الله بالعبادة ذاتًا، وصفاتًا، وأفعالًا.

وقولهُ: رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَل.

الرزق له معانٍ ذكرها الراغب في "مفردات القرآن"، فقال: الرزق يقال للعطاء الجاري، دنيويًا كانَ أم أخرويًا، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به تارة، ويقال: أعطى السلطان رزق الجند، ورزقت علمًا، قال تعالى: ﴿**وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ**﴾ [المنافقون:١٠]، أي: من المال والجاه والعلم، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ**﴾ [النساء:٨].اهـ

وأعظم رزق هو: رزق الهدى.

ويشير شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ في هذا الكلام إلى أن الهداية لها أسباب، كما أن الرزق له أسباب، قال تعالى: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**﴾ [الملك:١٥]، وقال لنبي الله موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿**أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ**﴾ [الشعراء:٦٣]، ولو شاء الله عز وجل لفلق البحر بغير ضرب بالعصا، ولكن الضرب بها سبب.

وإذا كان رزق الدنيا له أسباب، فالهداية لها أسباب؛ قال تعالى: ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا**﴾ [مريم:٢٥]، وقال رسول الله ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُم عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كَمَا يَرْزُق الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**».

فكما أن الرزق المذكور له سبب؛ فكذلك رزق الهداية له سبب، وهو: السؤال، والتماسها، وطلبها عند من يجريها الله على أيديهم.

وقولهُ: يسأل.

يسأل عنها ويطلبها، ويكون باحثًا عنها بالعلم الشرعي، وبالتجرد للحق، وبمجالسة أهل الصدق، والأمانة، والاستقامة، إلى غير ذلك، يسأل، سواء كان السؤال لفظيًا بأن يقول لعالم: ما حكم هذه المسألة؟ أو كان السؤال بالبحث عنها والطلب كما

فعل سلمان الفارسي رضي الله عنه، بحث عن الهداية حتى وفقه الله لها، وقصة سلمان ثابتة مذكورة في مسند سلمان من "الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين" للشيخ رحمه الله.

والرزق: قد يكون حلالًا، وقد يكون حرامًا؛ لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٥٩].

قال السفاريني رحمه الله:

والـــرزق مـــا ينفـــع مـــن حـــلال أو ضـــده فحـــل عـــن المحـــال

هذا البيت فيه أن الرزق يتضمن ما ينتفع به الإنسان، سواء كان من حلال، أو من حرام، من مأكل، وملبس، ومشرب، ومسكن، ومركب، وغير ذلك، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴾ [يونس:٥٩].

جماعة من المفسرين عند هذه الآية يذكرون أنها نزلت في الرد على المشركين الذين كانوا يحرمون السائبة، والبحيرة، والوصيلة، يحلون أشياء، ويحرمون أشياء، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [المائدة:١٠٣-١٠٤].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [الأنعام:١٣٦].

وأنت أيها المسلم تعلم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٨]،

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت:٦٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَاۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٦]، سواء كانت هذه الدابة من الدود، أو من القمل، أو غيرها من الحشرات، أو من الوحوش، أو من الجن والإنس ﴿دَآبَّةٍ﴾ لفظ يطلق على كل ما يدب في الأرض، وتدب فيه الحياة.

ومع كون الرزق يكون من الحلال والحرام؛ لا يجوز لأحد أخذه واكتسابه إلا من الحلال؛ لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة:١٦٨].

ومسألة رزق الدنيا: قد يكون وسيلة للهداية، وقد يكون مبعدًا عن الهداية، أعظم رزق هو رزق الهداية، ورزق الدنيا، ورزق الهداية، كلها لها أسباب.

ورزق الحلال له أسباب:

١) منها: الاستغفار؛ قال الله تعالى عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢]، وقال تعالى عن هود عليه الصلاة والسلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:٥٢].

٢) ومنها: تقوى الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق:٢-٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ

جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٥-٦٦].

٣) ومنها: التوكل على الله عز وجل؛ للآية المذكورة، ولحديث: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُم عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُم كَمَا يَرْزَق الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، أخرجه الترمذي (٧/ ٨)، وهو حديث حسن.

٤) ومنها: الهجرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء:١٠٠].

٥) ومنها: الجهاد في سبيل الله: «وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْت ظِلّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّة وَالصِّغَار عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

٦) ومنها: صلة الرحم لحديث: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»، متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

٧) ومنها: حسن الخلق وحسن الجوار لحديث: «حُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ».

٨) ومنها: الدعاء، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠].

٩) ومنها: الإنفاق في أبواب الخير؛ لحديث: «أَنْفِقْ بِلالُ، وَلا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلالا»، وحديث: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلاَّ مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»، ويقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ:٣٩]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «انْفِقِي وَانْضَحِي، وَلَا تُوكِي فَيُوكَى عَلَيْكِ»، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

١٠) ومنها: أداء الواجبات كما فعل صاحب الحديقة، قال النبي ﷺ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ، فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْـمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْـمَاءَ، فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْـمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، مَا اسْمُكَ؟ قَالَ: فُلاَنٌ. لِلاِسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ الله، لِمَ تَسْأَلُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلاَنٍ. لاِسْمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ قَالَ: أَمَّا إِذَا قُلْتَ هَذَا؛ فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ، وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».

كل العمل الصالح جالب للخير الكثير في الدنيا والآخرة، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا وَأَمَّا الْـمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ».

فائدة: الهدى، قال ابن القيم رحمه الله في "بدائع الفوائد" (٢/ ٢٧١): أنواع الهداية أربعة: **أحدها**: الهداية العامة المشتركة بين الخلق، المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠]، أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه إلى ما خلقه له من الأعمال.

النوع الثاني: هداية البيان، والدلالة، والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام؛ فإنها سببٌ وشرط لا موجب؛ ولهذا ينبغي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧]، أي: بينا لهم، وأرشدناهم، ودللناهم؛ فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ

﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء؛ فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨]، وفي قوله: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧]، وفي قول النبي ﷺ: «**من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**» رواه مسلم، وأحمد، والبيهقي، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، فنفى عنه هذه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

النوع الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩]، وقال أهل الجنة فيها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات ٢٢-٢٣].اهـ

والهداية لها أسباب:

١) منها: البحث عن طريق الهداية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]، أي: طلبوا الهدى وبحثوا عنه زادهم هدى على هداهم ذلك، كما قال تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم:٧٦].

٢) ومنها: العمل بالنصيحة، إذا نصحه ناصح يعرف منه الصدق فأخذ بنصحه؛ كان ذلك من أسباب الهداية؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا

يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء:٦٦-٦٨].

٣) ومنها: تدبر القرآن، وحفظه، والعمل به، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس:٥٧]، وقال: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣].

٤) ومن أسباب الهدى: اتباع الذكر، كما يقول الله سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

٥) وأوسع باب لحصول الهداية: الدعاء، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]، الإنسان إن لم يهده الله في لحظة من لحظات يخذل، فهو بحاجة لأن يهديه الله للطهارة، وللصلاة، ولطلب العلم، وللقول الحسن، ولصلة الأرحام، ولحسن الجوار، ولكل أفعال البر.

ما أحوج الإنسان إلى الهداية في كل شيء، يهدي الله لسانه، ويهدي سمعه وبصره، ورجله، ويده لا يمس إلا خيرًا، ولا يمشي إلا إلى خير، ولا يسمع إلا خيرًا، ولا ينظر إلا إلى خير، فهو بحاجة إلى سؤال الهداية في كل حين.

٦) ومن أسباب الهداية: سؤال أهل العلم، فسؤال ومناقشة أهل العلم بأدب؛ هذا من وسائل الهداية، وليس المقصود بقول شيخ الإسلام رحمه الله: (مَنْ لِلْهِدايَةِ يَسْأَل) السؤال على سبيل التعنت، ما يدخل تحت الهداية إذا كان على سبيل التعنت، أو على سبيل المفاخرة، وإنما السؤال لغرض البحث عن الحق فيما أشكل عليه؛ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن

كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣/ الأنبياء:٧]، هكذا أمر الله سبحانه أن يسأل عند عدم العلم بالمسئول عنه.

فائدة: لا فرق بين الهدى والهداية في قوله: (رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَل)، سواء كان هدى توفيقٍ، أو هدى إرشادٍ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [فصلت:١٧]، هداية إرشاد، وهكذا تعالى: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]، هداية إرشاد.

وهدى التوفيق لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، ما يستطيع أحد أن يهدي أحدًا إلا أن يهديه الله، وإنما يستطيع أن يدله ويرشده.

وهداية أهل الجنة للجنة، قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج:٢٤].

وهداية أهل النار للنار، قال تعال: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٣].

وهداية عامة؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] يعني: دلَّه كيف يأكل، كيف يشرب، كيف يلبس...إلخ.

وقد يحمل أيضًا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ على من أراد الله هدايته.

قال السعدي: أي: ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلقه له، وهذه هداية عامة.اهـ

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

اِسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قولِهِ لا يَنْثَنِي عَنْهُ ولا يَتَبَدَّل

شيخ الإسلام ضَمَّن كلامَه -في قوله (اسمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَولِه)-: النصيحةَ للسامع بالاستفادة من هذا القول المُحقِّق.

و(السمع) قال أبو البقاء في "الكليات" (٤٩٥): السمع بالفتح والسكون حس الأذن، وهو قوة مرتبة في العصبة المنبسطة في السطح الباطن من صماخ الأذن من شأنها أن تدرك الصوت المحرك للهواء الراكد في مقعر صماخ الأذن عند وصوله إليه بسببٍ مَّا، والسمع قوة واحدة، ولها فعل واحد؛ ولهذا لا يضبط الإنسان في زمان واحد كلامين، والأذن محله، ولا اختيار لها فيه؛ فإن الصوت من أي جانب كان يصل إليها، ولا قدرة لها على تخصيص القوة بإدراك البعض دون البعض، بخلاف قوة البصر؛ إذ لها فيه شبه اختيار؛ فإنها تتحرك إلى جانب دون آخر، وبخلاف الفؤاد أيضا؛ فإن له نوع اختيار يلتفت إلى ما يريد دون غيره، والسمع قد يعبر به تارة عن الأذن، نحو: ﴿**خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ**﴾ [البقرة: ٧]، وتارة عن فعله كالسماع، نحو: ﴿**إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ**﴾ [الشعراء:٢١٢]، وتارة عن الفهم، نحو: ﴿**سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا**﴾[البقرة: ٩٣].انتهى بتصرف.

وقوله رحمه الله: محقق.

فيه: الثناء على نفسه بما هو حاصل؛ لقصد إرشاد السامع أن يستفيد من هذا الكلام المحقق، من باب قول يوسف عليه السلام: ﴿**قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٥]، وهذا جائز.

أخرج الإمام البخاري رحمه الله (٢٨٧٨): عن أبي عبد الرحمن: أن عثمان رضي الله عنه حيث حوصر أشرف عليهم، وقال: أنشدكم الله، ولا أنشد إلا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ألستم

تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «**من حفر رومة؛ فله الجنة**» فحفرتها؟! ألستم تعلمون أنه قال: «**من جهز جيش العسرة؛ فله الجنة**» فجهزته؟! قال: فصدقوه بما قال.

قال الحافظ في "الفتح": وفيها جواز تحدث الرجل بمناقبه عند الاحتياج إلى ذلك؛ لدفع مضرة، أو تحصيل منفعة، وإنما يكره ذلك عند المفاخرة، والمكاثرة، والعجب.

وأخرج مسلم في "صحيحه" (٢٤٢٦): عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: ﴿**وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١]، ثم قال: على قراءة من تأمروني أن أقرأ؛ فلقد قرأت على رسول الله ﷺ بضعًا وسبعين سورة، ولقد علم أصحاب رسول الله ﷺ أني أعلمهم بكتاب الله، ولو أعلم أن أحدًا أعلم مني لرحلت إليه.

قال النووي رحمه الله: وفي هذا الحديث جواز ذكر الإنسان نفسه بالفضيلة والعلم ونحوه للحاجة، وأما النهي عن تزكية النفس فإنما هو لمن زكاها ومدحها لغير حاجة، بل للفخر والإعجاب، وقد كثرت تزكية النفس من الأماثل عند الحاجة، كدفع شر عنه بذلك، أو تحصيل مصلحة للناس، أو ترغيب في أخذ العلم عنه، أو نحو ذلك، فمن المصلحة قول يوسف ﷺ ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾، ومن دفع الشر: قول عثمان رضي الله عنه في وقت حصاره: إنه جهز جيش العسرة، وحفر بئر رومة. ومن الترغيب قول ابن مسعود هذا، وقول سهل بن سعد: ما بقي أحد أعلم بذلك مني. وقول غيره: على الخبير سقطت. وأشباهه.اهـ

وقال ابن كثير في "تفسيره": قال يوسف عليه السلام ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ مدح نفسه، ويجوز للرجل ذلك إذا جهل أمره للحاجة.اهـ

وقد عقد ابن مفلح رحمه الله في "الآداب الشرعية" (٣/ ٤٤٧) فصلًا في تزكية النفس، ومدحها بالحق للمصلحة أو شكر النعمة.

والكلام المحقق: هو الرصين ضد الغلط.

و(التحقيق) قال أبو البقاء في "الكليات" (٢٩٦): تفعيل من (حق) بمعنى (ثبت)، وقال بعضهم: التحقيق لغةً: رجع الشيء إلى حقيقته؛ بحيث لا يشوبه شبهة، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء بالوقوف عليه، والتحقق مأخوذ من الحقيقة، وهو كون المفهوم حقيقة مخصوصة في الخارج، والتحقق، والوجود، والحصول، والثبوت، والكون، كلها ألفاظ مترادفة عندنا، والتحقيق يستعمل في المعنى، والتهذيب في اللفظ، والتحقيق: إثبات دليل المسألة مطلقًا، أو بدليلها، والتدقيق: إثبات دليل المسألة على وجه فيه دقة، سواء كانت الدقة لإثبات دليل المسألة بدليل آخر، أو لغير ذلك مما فيه دقة؛ فهو أخص بالمعنى الأول، وقد يفسر بأنه إثبات دليل المسألة بدليل آخر؛ فيكون مباينًا للتحقيق بالمعنى الثاني.اهـ

وقولهُ: لا يَنْثَني عَنهُ ولا يَتَبَدَّلُ.

(لا ينثني)، أي: لا ينعطف، ولا يتأرجح، ولا يميل عنه، (ولا يتبدل): لا يتبدل به غيره.

هاتان الفقرتان تدلان على قناعة وثبات عنده رحمة الله عليه.

قال أبو إسماعيل الهروي رحمه الله: عُرِضْتُ على السيف سبع مرات لا يقال لي: ارجع عن دينك. وإنما يقال: اسكت عمن خالفك. فأقول: لا.

وشيخ الإسلام رحمه الله يقول هذا عن ثبات يعرفه من نفسه، أن هـذا حق، وأنه ما ينثني عنه، وأن هـذا الذي يسير عليه هو في غاية القناعة منه؛ فهذا هو الثبات على الحق.

ومن أدلة الثبات على الحق:

قوله تعالى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ﴾ [الأنفال:٤٥]، ثبات أمام العدو، سواء من الكفار أو المنافقين، فالكفار المقاتلون

الثبات أمامهم بالقتال، والمنافقون الضالون الثبات أمامهم بالحجة والبيان، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم:٢٧].

الثبات يعتبر ابتلاءً؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة:٢٥٠].

الإمام مالك رَحِمَهُ اللهُ قال له رجل: أريد أن أناظرك. قال له: فإن غلبتني. قال: تتبعني. قال: فإن غلبتك؟ قال: أتبعك. قال: يكون ديننا عرضة للتنقل، اذهب إلى شاك مثلك أنا على بصيرة من ديني.

وعمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ يقول: من جعل دينه عرضة للخصومات أكثر التنقل.

ونحو هذا أيضًا عن الحسن البصري، بما معناه: هذا الرجل كل يوم له دين، والله لا أسلم عليه.

ولا يفلح داعٍ إلى الله إلا أن يكون ثابتًا على الكتاب والسنة، مقتنعًا بذلك قناعة تامة، قال تعالى: ﴿حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [المرسلات:٥٠].

وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾[العنكبوت:٥١-٥٢].

وقال جل وعلا: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ

هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص:٥٠].

وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وثبت أن النبي ﷺ قال: **«تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»**.

بدأ هذه القصيدة بمقدمة طيبة وهي: أنه أثنى على من يسأل عن الحق ودعا له، ثم ذكر معتقده في هذه الأبيات ويبينه، وهكذا ينبغي للسني أن يكون معتقده واضحًا مبنيًّا على: كتاب وسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، يجهر به في الرد على أهل الأهواء، ويجهر به في كل موضع، ما يبقى مستخفيًا به، أهل الباطل يصدعون لباطلهم في كثير من الأماكن، وأنت تصدع بما تعتقده من الحق أمام القريب والبعيد بدون تخفي، والسرية غير مذمومة على الإطلاق، ولكن بعض الناس قد أدخلوا في الدعوة سرية مذمومة حزبية! كما هو حال الإخوان المسلمين وأمثالهم فيها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لي مَذْهَبٌ وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ

الصحابي: هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به، ومات على ذلك، ولو تخللت ردة، سواء من الجن أو الإنس، ولا يطلق هذا على الملائكة الذين لقوا النبي ﷺ؛ لأنه ليس مبعوثًا إليهم على الصحيح.

جعل شيخ الإسلام رحمه الله المحبة للصحابة، والمودة لقربى رسول الله ﷺ، وقد بيَّن ابن القيم رحمه الله في "روضة المحبين" (ص٤٦) أن الود خالص الحب وألطفه وأرقّه.

فمعنى ذلك: أنه يحب الصحابة كلهم، لكن قرابة رسول الله ﷺ الصالحين لهم محبة زائدة على محبة الصحابة الذين ليسوا من قرابة رسول الله ﷺ.

شيخ الإسلام رحمه الله في هذا البيت يقرر مذهبه، وهو مذهب أهل السنة قاطبة (حُبُّ الصَّحابَةِ) رضوان الله عليهم.

قال الطحاوي رحمه الله: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نُفرِط في حب أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفرٌ ونفاق، وطغيان.اهـ

فمن معتقد أهل السنة والجماعة رحمهم الله: حب أصحاب النبي ﷺ ولا يذكرون إلا بخير.

نحب الصحابة كلهم، سواء كان معاوية رضي الله عنه، أو غيره ممن أسلم يوم الفتح، سواء من كبار الصحابة أو من صغار الصحابة رضي الله عنهم، فحب الصحابة جميعًا يعتبر واجبًا، وهو مذهب أهل السنة، ولابد من ذلك، ومن أفرط في حبهم -كما فعل الرافضة في ادعاء

حب بعضهم حتى أنزلوا عليًّا ﷺ منزلة الربوبية- فقد خالف الصواب، وضل عن أدلة السنة والكتاب، ومن فرَّط في حبهم، أو نصب العداء لهم فقد خالف الصواب ويعتبر ضالًّا، وعرض نفسه لعداء الله عزوجل له؛ فهو القائل كما في الحديث القدسي عن أبي هريرة ﷺ: «**من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب**»، والقائل عزوجل: ﴿ **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ** ﴾ [التوبة:٧١].

فهذا فيه رد على النواصب والروافض، شيخ الإسلام رحمه الله يرد بهذه الفقرة على طائفتين ضالتين: على الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، ويدعون حب آل بيته، بما علم عندهم من الغلو الفاحش في بغضهم، وعلى النواصب الذين ينصبون العداء لأصحاب النبي ﷺ لاسيما لآل البيت، فهذا كله باطل، الرفض والنصب كلاهما ضلال وإن كان الرفض أشد ضلالًا؛ لأنه يتضمن ما تضمنه النصب، وغيره من الضلالات.

وحب الصحابة يعتبر دينًا كما قال الطحاوي رحمه الله؛ لأنهم حملوا هذا الدين، ولأن الله سبحانه وتعالى يقول عنهم في كتابه الكريم: ﴿**وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ**﴾ [التوبة:١٠٠]، فالله قد رضي الله عن أصحاب النبي ﷺ ورضوا عنه، والرافضة لم يرضوا عنهم وسلطوا ألسنتهم في الطعن فيهم.

ويقول سبحانه مبينًا خطورة شقاق رسول الله -وشقاقهم ضلال-: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا**﴾ [النساء:١١٥].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ**

رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ﴾ [الفتح:٢٩].

ويقول سبحانه: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر:٨-٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

وهذه الآيات فيها ثناء عظيم من الله سبحانه وتعالى على أصحاب نبيه ﷺ، ورضوان الله عليهم أجمعين، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥].

وهكذا تتوالى الأدلة في القرآن والسنة على فضل أصحاب النبي ﷺ، كما جاء من حديث ابن مسعود وعمران رضي الله عنهما في "الصحيحين": «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**».

ومن حديث أنس رضي الله عنه: أن الأنصار أتوا إلى النبي ﷺ بجماعتهم يشكون ما يجدون من نزع المال، قالوا: نذهب إلى رسول الله ﷺ، لو سأل الله أن يفجر لنا أنهارًا. فأتوا

بجماعتهم، فلما رآهم النبي ﷺ قال: **«مرحبًا وأهلًا، ما جاء بكم اليوم إلا حاجة، لا تسألوني اليوم شيئًا إلا أعطيتموه، ولا أسأل ربي شيئًا إلا أعطانيه»**، فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: الدنيا تريدون؟ فاطلبوا النبي ﷺ أن يستغفر لنا، قالوا: استغفر لنا يا رسول الله؟ قال: **«اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار»**.

وفي "الصحيح" من حديث أبي برزة ﷺ: أن النبي ﷺ صلى بهم، ثم رجع إلى بيته، وبقوا ينتظرون، فخرج وقال: **«ما زلتم على الحال الذي تركتم؟»** قالوا: نعم يا رسول الله، قلنا: صلينا معك. ثم قلنا: ننتظر حتى نصلي العشاء. فقال عليه الصلاة والسلام بعد أن نظر إلى السماء: **«النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون** -يعني: من الفتن- **وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**.

وهذا الذي حصل بعد ذهاب الصحابة رضوان الله عليهم، حصلت فتن كثيرة، وكانت في زمن الصحابة إذا ظهرت بدعة تموت، ما لها أثر، ظهرت بدعة الخوارج، فخمدت شيئًا فشيئًا، وبدعة القدرية، وكذلك بدعة التشيع، بدع ظهرت ويتصدى لها أصحاب رسول الله ﷺ فيبينون حالها.

وكما قال مورّق العجلي رحمة الله عليه لما مات أنس: ذهب اليوم على المسلمين علم كثير، كنا إذا اختلفنا مع القدرية أو مع المبتدعة قلنا: تعالوا إلى أصحاب رسول الله ﷺ.

وابن مسعود ﷺ يقول: إن الله نظر في قلوب أصحابه فاتخذهم لنبيه، فما رآه المؤمنون حسنًا؛ فهو حسن، وما رأوه سيئًا؛ فهو عند الله سيء.

قال أهل العلم: المقصود بهم المسلمون الخُلَّص، كأصحاب رسول الله ﷺ، فإجماعهم معتبر، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: **«لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي**

بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

وشرف الصحبة لا يعدله شيء، لا على الانفراد، ولا على الاجتماع، فلو قال قائل مثلًا: الصحابة في الجملة أفضل من التابعين في الجملة، وقد يوجد واحد من التابعين أفضل من الصحابة. هذا قول غير صحيح، ولا يعدل شرف الصحبة شيء؛ للأدلة المذكورة.

ومما يعتقده أهل السنة في هذا الباب: أن الصحابة يتفاضلون، وسيأتي ما يتعلق بذلك، وأن منهم من هو مبشر بالجنة نصًا كما في هذه الأبيات:

للمصطفى خير صحب نص أنهم ... في جنة الخلد نصًا زادهم شرفا
هم طلحة وابن عوف والزبير مع ... أبي عبيدة والسعدين والخلفا

وهذا ليس على سبيل الحصر وخديجة، وعائشة، وعبد الله بن سلام، وعكاشة ابن محصن، وأبو الدحداح رضي الله عنهم أجمعين، كلهم من أهل الجنة، إنما المذكورون في هذه الأبيات الذين جمعوا في حديث سعيد بن زيد.

قولهُ: لي مَذْهَبٌ.

أطلق المذهب هنا على المعتقد.

قولهُ: وَمَوَدَّةُ القُرْبى بها أَتَوَسّل.

مودة القربى محبة آل البيت، قربى النبي ﷺ، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقال أبو بكر رضي الله عنه: ارقبوا محمدًا في آل بيته.

فآل بيت النبي ﷺ المستقيمون منهم لهم منزلة عالية، أما من لم يكن مستقيمًا فلا تنفعه قرابته من النبي ﷺ، يقول الله تعالى عن نوح: ﴿**قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ**

﴿غَيْرُ صَٰلِحٍۢ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦]، وقال الله عن امرأة نوح، وامرأة لوط: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠].

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن بني فلان ليسوا بأولياء لي، إنما ولي الله ورسوله وصالح المؤمنين، غير أن لهم قرابة سأبلها ببلالها».

وقوله: «يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئًا، سليني من مالي ما شئت»، دعا قريشًا وعَمَّ وخَصَّ، ويقول في ذلك الحديث: «لا أغني عنكم من الله شيئًا»، وفي حديث المخزومية: «والله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها، إنما هلك من كان قبلكم أنهم إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد».

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍۢ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۞ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۞ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١-١٠٤]، إن قرابة النبي ﷺ لهم منزلة عظيمة، الذين هم على استقامة، وعلى سنة، أما شيوعي من آل البيت، صوفي من آل البيت، شيعي من آل البيت، حزبي من آل البيت، ما له كرامة ولا منزلة؛ لأن الله عز وجل يقول: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨] والمعاصي إهانة وذل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [يونس:٢٧]، وروى مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه».

وآل البيت هم: آل علي وآل عقيل، وآل عباس، وآل جعفر، كما في حديث زيد بن أرقم، أزواج النبي ﷺ من آل البيت، كما نص القرآن على ذلك: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ

عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقال بعض أهل العلم: هم كل أتباع النبي ﷺ هم آل البيت، قال بعضهم:

آل النبـــي هـــم أتبـــاع ملتـــه ... مـــن العجـم والـسودان والعـرب

لـــو لم يكـــن آلـــه إلا قرابتـــه ... صـلّى المـصلي عـلى الطـاغي أبي لهـب

فيقال: أتباع النبي ﷺ من آله عمومًا، أما على وجه الخصوص فآل النبي ﷺ الذين تحرم عليهم الصدقة؛ لحديث: «**إنما وليي الله وصالح المؤمنين**»؛ ولقوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة:٧١].

وحديث: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» متفق عليه، والأدلة في هذا كثيرة.

قوله: بها أَتَوَسّل.

قال ابن منظور رحمه الله في "لسان العرب" (١١/ ٧٢٤): الوسيلة المنزلة عند الملك و الوسيلة الدرجة و الوسيلة القربة و وسل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه و الواسل الراغب إلى الله قال لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قـدر أمـرهم ... بـــلى كـــل ذي رأي إلى الله واســـل

و توسل إليه بوسيلة إذا تقرب إليه بعمل و توسل إليه بكذا تقرب إليه.

وهذا توسل بالعمل الصالح بمحبته لقربى النبي ﷺ؛ هذا عمل قلبي جليل، والتوسل بالأعمال الصالحة مشروع، كما في حديث الثلاثة أصحاب الغار المتفق عليه: أحدهم توسل ببره لوالديه، والآخر توسل بعفته عن الوقوع على غير زوجته بعد أن تمكن منها، وآخر توسل بفعله الخير وتنمية ذلك المال لصاحبه حتى أتى وأخذه...، كل واحد توسل بعمله الصالح.

ومن باب التوسل بالعمل الصالح: التوسل بالإيمان، قال تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [المائدة:٨٣]، ويتوسل بأسماء الله وصفاته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠].

ويتوسل بدعاء الرجل الصالح، كما فعل أصحاب النبي ﷺ، كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: ادع الله لنا هلكت المواشي. فيدعو لهم، يستسقي، يرفع يديه ويدعو.

ما يجلس أحد في بيته ويقول: اللهم إني أسألك بجاه نبيك، أو بحق نبيك محمد ﷺ أن تسقينا!! ما يفعلون هذا أبدًا، النبي ﷺ له جاهه، لكن ما كانوا يفعلون ذلك، هذا محدث.

وبعد موته توسلوا بدعاء العباس رضي الله عنه، وطلبوا منه أن يستسقي لهم، فسقاهم الله، وجاءت رواية: (قم يا عباس فسل الله فادعه) كما بينا ذلك في رسالتنا "المبادئ المفيدة".

أما حديث: «**توسلوا بجاهي؛ فإن جاهي عظيم**» حديث باطل.

وحديث: «**اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي إليك...**» إلخ، حديث ضعيف، عن أبي سعيد رضي الله عنه؛ فيه عطية العوفي، ولو ثبت المقصود من التوسل بالعمل الصالح، فحق السائل هو أوجبه على نفسه عزوجل، فهو الذي أحق للسائلين أن يجيبهم، وللعابدين أن يثيبهم، كما قال الناظم:

ما للعباد عليه حق واجب ... كلا ولا سعي لديه ضائع

إن عذبوا فبعدله أو نعموا ... فبفضله وهو الكريم الواسع

حب الصالحين جميعًا يُتَوسَّل به؛ لأن فيه فضلًا عظيمًا، وحب الصالحين من آل البيت أكثر فضلًا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ عَلا وفَضَائِلٌ   لكِنَّما الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَل

في هذه الفقرة أيضًا رد على طائفتين ضالتين: النواصب والروافض الذين أحدهم يأخذ بطرف والآخر يأخذ بطرف آخر.

فقوله: (حب الصحابة كلهم لي مذهب) رد على النواصب الذين نصبوا العداء لآل البيت، والروافض الذي غلوا بزعمهم في آل البيت غلوًّا مفرطًا، والواقع أنهم لا يحبون آل البيت، وإنما يتسترون بحبهم، أحدهم يأخذ بطرفٍ والآخر يأخذ بطرف آخر.

وفضائل الصحابة مبينة في الأدلة الماضية على الإجمال، أما على التفصيل فيطول ذكر أدلة فضل كل واحد منهم.

ومن الصحابة من ليست له إلا رؤية، فهذا داخل تحت الأدلة العامة وفضائل الصحابة، وقد لا تجد له حديثًا خاصًّا يبين فضيلته، فيكون داخلًا تحت الأدلة العامة في فضل الصحابة.

فائدة: قوله (لكِنَّما الصِّدِّيقُ مِنْهُمْ أَفْضَل)، (ما) في هذا الموضع كافة، قال ابن مالك:

ووصل ما بذي الحروف مبطل   إعمالها وقد يبقى العمل

فهي كافة لعمل (لكن) إذا دخلت على هذه الحروف، كفتها عن العمل، أصل هذه الحروف تعمل النصب، تنصب المبتدأ وترفع الخبر، قال ابن مالك:

لأن أن ليت لكن لعل   كأن عكس ما لكان من عمل

كأن زيداً عالم بأني   كفء ولكن ابنه ذو ضغن

فهي تنصب، وإذا دخلت عليها (ما) إلا ليت: استثنيت:

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا أو نصفه فقد

قوله: لكِنَّما الصِّديقُ.

هو أبو بكر عبد الله بن عثمان.

قوله: مِنْهُمْ أَفْضَل.

فترتيبهم في الفضل: أبو بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين.

فهؤلاء هم الخلفاء الراشدون المهديون، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**» المقصود بسُنتهم، أي: طريقتهم في فهم الكتاب والسنة، فإنه ليس لأحد سنة مع رسول الله ﷺ، فكلهم أتباع رسول الله ﷺ، فإذا قيل في مثل قول علي رضي الله عنه: جلد رسول الله شارب الخمر أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وجلد عمر ثمانين، وكل سنة، وأخذ بسنة رسول الله ﷺ.

فالمقصود أن سنة أحدهم، وطريقة أحدهم متبعة عند عدم معارضة سنة رسول الله ﷺ؛ لكون ذلك الصحابي لم يطلع على الدليل فيها، ومع عدم معارضة سنته ﷺ بسنة غيره من الخلفاء، أو خالفه غيره من الصحابة، وخير الهدي هدي رسول الله ﷺ.

وكما أنَّ شيخ الإسلام رحمه الله أجملَ ذكرَهم وفصَّلَ في الصديق، فيجدر أن نذكر هنا من أدلة فضائله:

أبو بكر أفضل هذه الأمة بعد نبيها بالإجماع.

قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (١٥/ ١٨٤): قال الإمام أبو عبد الله المازري: اختلف الناس في تفضيل بعض الصحابة على بعض، فقالت طائفة: لا نفاضل، بل نمسك عن ذلك، وقال الجمهور: بالتفضيل، ثم اختلفوا فقال أهل السنة: أفضلهم أبو بكر الصديق. وقال الخطابية: أفضلهم عمر بن الخطاب. وقالت الراوندية: أفضلهم العباس. وقالت الشيعة: علي. واتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبو بكر، ثم عمر، قال جمهورهم: ثم عثمان، ثم علي. وقال بعض أهل السنة من أهل الكوفة بتقديم علي على عثمان، والصحيح المشهور تقديم عثمان. قال أبو منصور البغدادي: أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثم تمام العشرة، ثم أهل بدر، ثم أحد، ثم بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبتين من الأنصار، وكذلك السابقون الأولون.اهـ

وفضائل الصديق في القرآن والسنة:

١) أما في القرآن فكقوله تعالى: ﴿**ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة:٤٠]، وقال رسول الله ﷺ: «**إني جئتكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر: صدقت**»، وقال ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن صاحبكم خليل الرحمن**».

٢) آتاه الله عز وجل خشيةً، فكان لا يتمالك نفسه من قراءة القرآن كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت: كان يبكي ولا يملك نفسه إذا قرأ القرآن.

٣) آتاه الله فقهًا في الدين، لما أتى وعمر رضي الله عنه يخطب الناس ويقول: والله، ما مات رسول الله ﷺ. وقال: والله، ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم. فأتى أبو بكر رضي الله عنه، وقرأ الآية: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ**

عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾ [آل عمران:١٤٤]، وما كأنهم سمعوها إلا ذلك الوقت، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة الأولى فقد ذقتها، ولن تموت بعدها أبدًا.

٤) آتاه الله ثباتًا على هذا الدين، قال الإمام المديني رحمه الله: إن الله حفظ هذا الدين باثنين: بـأبي بكر في الردة، وبالإمام أحمد في المحنة.

حصلت ردة بعد موت النبي ﷺ، وبعضهم منع الزكاة، قال بعضهم:

أطعنـــا رســـول الله إذ كـــان بيننـــا فيـــا لعبـــاد الله مـــا لأبي بكـــر

أيورثهـــا بكـــراً إذا مـــات بعـــده وتلـك لعمـــرُ الله قاصـــمة الظهـــر

قال هذا جرول بن مالك الحطيئة، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله، لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها على عهد رسول الله ﷺ؛ لقاتلتهم عليها.

فقام أبو بكر رضي الله عنه لقتالهم، فقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل من قال: لا إله إلا الله، والنبي ﷺ يقول: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماؤهم وأموالهم**»، حتى شرح الله صدر عمر، فقال: فعلمت أنه الحق.

وأجمع الصحابة على ما عليه أبو بكر رضي الله عنه من الثبات على الحق في قتالهم.

٥) ومن مناقبه: أنه من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ؛ لحديث: من أحب الناس إليك يا رسول الله؟ قال: «**عائشة**»، قال: ومن الرجال؟ قال: «**أبوها**».

٦) وهو خليفة رسول الله ﷺ نصًا، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها: «**ادعي لي أباك وأخاك فإني أخشى أن يتمنى متمنٍ ويأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر**»، حديث جبير أيضًا: أن امرأة أتت إلى النبي ﷺ تسأله؟ فقالت: إن لم أجدك؟ قال: **فائت أبا بكر**»، وهكذا: «**مروا أبا بكر ليصلّ للناس**»، قال لبلال: «**إذا حضرت صلاة العصر: مر أبا بكر ليصلي للناس**».

هذه الأدلة وأمثالها تدل على أن خلافة أبي بكر بالنص، وإنما بعض الناس من أهل الهوى كالمعتزلة والأشاعرة على أن خلافته كانت اختيارًا، وذهب أهل الحديث إلى أن خلافته كانت بالنص الخفي والإشارة عند ذكر خلافته كما في "شرح الطحاوية".

قال النووي رحمه الله في "شرح مسلم" (٤/ ١٣٧): قولها: (فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه أن يصلي بالناس، فقال أبو بكر رضي الله عنه وكان رجلًا رقيقا: يا عمر صل بالناس. فقال عمر رضي الله عنه: أنت أحق بذلك) فيه فوائد، منها: فضيلة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وترجيحه على جميع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وتفضيله، وتنبيهٌ على أنه أحق بخلافة رسول الله ﷺ من غيره.

٧) ومن فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أنه كان رفيق النبي ﷺ في هجرته، ولم تُذكر صحبة أحد من الصحابة نصًّا في القرآن غيره؛ لقوله: ﴿إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

٨) من فضائل أبي بكر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«كل خوخة تسد إلا خوخة أبي بكر»**، وقال عليه الصلاة والسلام: **«من تبع اليوم جنازة؟»** قال أبو بكر أنا. قال: **«من أصبح منكم صائمًا؟»** قال أبو بكر: أنا. قال: **«من أطعم اليوم منكم مسكينًا؟»** قال أبو بكر أنا. قال: **«من عاد منكم اليوم مريضًا؟»** قال أبو بكر أنا. فقال ﷺ: **«ما اجتمعن في رجل إلا كان من أهل الجنة»**، وأبو بكر من أهل الجنة بالنص.

٩) وهكذا حث النبي ﷺ على الصدقة، قال عمر: فوافق مالاً عندي، قلت: اليوم أسبق أبا بكر، تصدقت بنصف مالي، وتصدق أبو بكر بماله كله، فأتى إلى النبي ﷺ فقال: بماذا تصدقت يا عمر ؟ قال: بنصف مالي، قال: وأنت يا أبا بكر؟ قال: بمالي كله. قال عمر: علمت أني لا أسبق أبا بكر.

وابن مسعود قرأ سورة النساء يسحلها سحلًا، فمر النبي ﷺ وهو يقول: (اللهم إني أسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفذ، ومرافقة نبيك محمد في أعلى درجات الخلد)، فقال النبي ﷺ: **«سل تعطه، سل تعطه»**، فاستبقا أبو بكر وعمر ليبشرا ابن مسعود، فلما بشره عمر، قال: سبقك بها أبو بكر.. الحديث.

١٠) من فضائل أبي بكر رضي الله عنه: أنه كان في غاية الورع، كان له رقيق يأتي بالخراج، فأخبره أنه اكتسب مالاً في الجاهلية من كهانة، فأدخل إصبعه في فيه وقاء كلما في بطنه، من أجل أنه أكل من ذلك المال الذي كان أصله من الكهانة في الجاهلية.

هذه من فضائل أبي بكر رضي الله عنه، وهي كثيرة، ولكن كما سبق الاختصار مرغوب، ويكفي في ذلك: أن أبا بكر رضي الله عنه خير هذه الأمة بعد نبيها بلا خلاف.

- وعمر بن الخطاب أبو حفص العدوي رضي الله تعالى عنه فضائله كثيرة.

منها: قول رسول الله ﷺ: **«لو سلكتَ فجًّا؛ لسلك الشيطان فجًّا غير فجِّكَ»**، ومنها: أن القرآن نزل بوفاقه في أكثر من موضع.

ومنها: أن النبي ﷺ قال له: **«إنه كان قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب»**، ملهمون: **«ما رأيت عبقريًّا مثله»**، ومنها: إخباره عن علم عمر رضي الله عنه.

وعثمان رضي الله عنه من المبشرين بالجنة، زوجه النبي ﷺ بابنته رقية فماتت، فزوجه بأم كلثوم؛ ولذلك لقب بـ(ذي النورين) من أجل ذلك، كما لقب أبو بكر الصديق من أجل صدقه وتصديقه لرسول الله حين وصف لقريش بيت المقدس، فقالوا: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت.

وفي "الصحيح" عن ابن مسعود رضي الله عنه: **«لا يزال الرجل يصدق حتى يكتب عند الله صديقًا»، نعم.**

ومن فضائل عثمان رضي الله عنه: أنه اشترى بئر رومة وله به الجنة، وجهز جيش غزوة تبوك التي سميت بغزوة العسرة؛ لقول الله تعالى: ﴿**لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ**﴾ [التوبة:١١٧]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: **«ما على عثمان بعد اليوم»**، وبايع النبي صلى الله عليه وسلم عن عثمان رضي الله عنه.

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه له فضائل، فهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم: **«أَنْتَ مِنِّى بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؛ إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِى»**.

كما ثبت في "الصحيحين" من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: **«لأعطين الراية غدًا رجلًا يفتح على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»**، فباتَ الناس ليلتهم أيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجونه، فقال: **«أين علي؟»** فقيل: يشتكي عينيه. فبصق في عينيه ودعا له؛ فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: **«انفذ على رِسْلِكَ حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله، لَأَنْ يهدي الله رجلًا بك خير لك من أن يكون لك حمر النعم»**.

وخلافتهم في زمنهم تعتبر خلافة نبوة على ما جاء في حديث سفينة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«الخلافة في أمتي ثلاثون سنة، ثم ملكًا بعد ذلك»**، ثم قال لي سفينة: أمسك خلافة أبي بكر، وخلافة عمر، وخلافة عثمان، وأمسك خلافة علي رضي الله عنهم. قال: فوجدناها ثلاثين سنة، ثم نظرت بعد ذلك في الخلفاء فلم أجده يتفق لهم ثلاثون، فقلت لسعيد: أين لقيت سفينة؟ قال: لقيته ببطن نخل في زمن الحجاج، فأقمت عنده ثمان ليال أسأله عن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: قلت له: ما اسمك؟ قال: ما أنا بمخبرك، سماني رسول الله

ﷺ سفينة. قلت: وَلِمَ سَمَّاك سفينة؟ قال: خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، فثقل عليهم متاعهم، فقال لي: «**ابسط كساءك**»، فبسطته، فجعلوا فيه متاعهم، ثم حملوه عليَّ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**احمل، فإنما أنت سفينة**»، فلو حملت يومئذ وِقْرَ بعير، أو بعيرين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، أو ستة، أو سبعة؛ ما ثقل عليَّ إلا أن يجفوا.

ومنهم من زاد: الحسن بن علي، ومنهم من زاد: عمر بن عبد العزيز، وهما من أمراء المؤمنين، أما خلافة النبوة فما يدعمه الدليل.

وأجل أمراء المسلمين على الإطلاق: معاوية رضي الله عنه، لا ينبغي أن يشك في هذا الترتيب، ترتيب الخلافة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، ومن طعن في خلافة واحد من هؤلاء؛ فهو أضل من حمار أهله، وهذا الترتيب هو الصواب.

أما مسألة الأفضلية بين علي رضي الله عنه، وبين عثمان رضي الله عنه؛ فقد كان في الزمن الماضي فيه خلاف في تقديم علي رضي الله عنه، وبعد ذلك استقر الأمر على تقديم عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "الفتاوى الكبرى" (١/ ٤٧٨): قد حصل فيها نزاع؛ فإن سفيان الثوري وطائفة من أهل الكوفة رجحوا عليًّا على عثمان، ثم رجع عن ذلك سفيان وغيره، وبعض أهل المدينة توقف في عثمان وعلي، وهي إحدى الروايتين عن مالك، لكن الرواية الأخرى عنه تقديم عثمان على علي كما هو مذهب سائر الأئمة كالشافعي، وأبي حنيفة، وأصحابه، وأحمد بن حنبل، وأصحابه، وغير هؤلاء من أئمة الإسلام حتى إن هؤلاء تنازعوا فيمن يقدم عليًّا على عثمان: هل يعد من أهل البدعة؟ على قولين هما روايتان عن أحمد، وقد قال أيوب السختياني، وأحمد بن حنبل، والدارقطني: من قدم عليًّا على عثمان؛ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

إلى أن قال: قال عبد الرحمن بن عوف: إنَّ لي ثلاثًا ما اغتمضت بنوم. فلما كان اليوم الثالث قال لعثمان: عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت عليًّا لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم. وقال لعلي: عليك عهد الله وميثاقه إن وليتك لتعدلن، ولئن وليت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ قال: نعم. فقال: إني رأيت الناس لا يعدلون بعثمان. فبايعه علي، وعبد الرحمن، وسائر المسلمين بيعة رضا واختيار من غير رغبة أعطاهم إياها، ولا رهبة خوفهم بها، وهذا إجماع منهم على تقديم عثمان على علي؛ فلهذا قال أيوب، وأحمد بن حنبل، والدارقطني: من قدم عليًّا على عثمان؛ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار؛ فإنه لو لم يكن هو أحق بالتقديم وقد قدموه كانوا جاهلين بفضله، وإما ظالمين بتقديم المفضول من غير ترجيح ديني، ومن نسبهم إلى الجهل والظلم؛ فقد أزرى بهم.اهـ

وقال رحمه الله في "الواسطية": ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رضي الله عنهم، كما دلت الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان بالبيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان وسكتوا، وربعوا بعلي، وقدم قوم عليًّا، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي، وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة؛ وذلك أنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء؛ فهو أضل من حمار أهله.اهـ

والرافضة الذين سموا برافضة من أجل رفض أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، دخلوا على زيد

بن علي وطلبوا منه أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فقال: وزيرا جدي. -ما رضي أن يتبرأ منهما- قالوا: إذًا نرفضك. قال: اذهبوا؛ فأنتم الرافضة؛ فلأجل هذا سموا الرافضة؛ ولأجل طعونهم وبراءتهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

فشيخ الإسلام رحمه الله يبين أنه يحب كل الصحابة، ويتوسل بهذا؛ لأن الحب في الله من أفضل القربات؛ لهذا قال صلى الله عليه وسلم: **«الأنصار لا يبغضهم إلا منافق، ولا يحبهم إلا مؤمن»**، والمهاجرون أيضًا أنصار؛ لقوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر:٨].

والحب في الله فيه فضل عظيم، كما جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»**، وقال صلى الله عليه وسلم: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار»**، متفق عليه عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وكما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»**.

وقوله صلى الله عليه وسلم: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان»**، متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه، ومن المتفق عليه عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما: **«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد»**.

والله عزوجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

قال الراغب في "مفردات القرآن": والذل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود، نحو قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٤].اهـ

وقال ابن كثير رحمه الله: هذه صفات المؤمنين الكمّل أن يكون أحدهم متواضعًا لأخيه ووليه متعززًا على خصمه وعدوه، كما قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩].اهـ

وَحَدِيثُ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما مَرْفوعًا: «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ المُوَالَاةُ فِي اللهِ وَالمُعَادَاةُ فِي اللهِ، والحُبُّ فِي اللهِ وَالبُغْضُ فِي اللهِ**» حديث ثابت بمجموع طرقه.

وَحَدِيثُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ، فِيَّ وَالْـمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْـمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَالْـمُتَجَالِسِينَ فِيَّ**» الحديث.

وحديث معاذ رضي الله عنه: «**إِنَّ الْـمُتَحَابِّينَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهم النَّبِيُّونَ والشُّهَدَاء**».

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في "مسلم": «**زار أَخٌ أَخًا له في قرية، فأرصد الله على مدرجته ملكًا، فقال له: أين تريد؟ قال: أزور أخًا لي في هذه القرية. فقال: هل لك من نعمة تربها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله، قال: إني رسول الله إليك: أن الله قد أحبك كما أحببته**».

ولا أوقح من الرافضة في هذا الباب، وفي أبواب شتى! فقد نقل ابن أبي العز في "شرح الطحاوية" (٤٧٠): فمن أضل ممن يكون في قلبه غل على خيار المؤمنين، وسادات أولياء الله تعالى بعد النبيين؟ بل قد فضلهم اليهود والنصارى بخصلة، قيل لليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا : أصحاب موسى. وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب عيسى. وقيل للرافضة: من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد. لم يستثنوا منهم إلا القليل، وفيمن سبوهم من هو خير ممن استثنوهم بأضعاف مضاعفة. انتهى منقولًا من كلام شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى".

وقد ذكر شيخ الإسلام ﵀ ما معناه: أن هذا ما هو مجرد طعن في الصحابة، بل هو طعن في دين الله، وفي رسول الله ﷺ، وفي الله سبحانه وتعالى، طعن في دين الله من حيث أن الأدلة التي أتت عن الصحابة وآل البيت رضوان الله عليهم فيهم، هم قليل بالنسبة لما حمله غيرهم من السنة، سواء كان أبو هريرة ﵁ أو غيره، وهم عند الرافضة -أخزاهم الله- بين فاسق وكافر، يكفرون بعضًا ويفسقون بعضًا، فعلى قولهم يعتبرونهم فساقًا كفارًا؛ فحديثهم ما يقبل، وسائر ما يرون غير مقبول.

وهذا طعن في الدين، يريدون نسف الدين، كل ما جاء في السنة، وعندهم قرآن آخر يعتبرونه كاملًا غير هذا القرآن؛ فَإِذن لا قرآن يثبت عندهم، ولا سنة، فأي زندقة أعظم من هذه؟!! يعتبرون هذا من القربات، لعنٌ لأصحاب رسول الله ﷺ، وأكابر أصحاب النبي ﷺ، فهم شر البرية، الرافضة هؤلاء الذين يعتقدون أن القرآن ناقص، أو يعتقدون كفر أصحاب النبي ﷺ أو فسقهم هم شر البرية.

هذا، وكما سبق أيضًا بيان: أن هذا الحب يجب أن يكون لكل الصحابة حتى من الجن، مثل زوبعة نحبه، ونعرف له شرف الصحبة ﵁، صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ، هو وعدد منهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ * قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف:٢٩-٣٢].

فائدة: قصة سمحج الجني لم تثبت، وهي أن بعض الجن كانوا يسبون النبي ﷺ ويؤذونه، فعدا عليه بعض الجن المسلمين وقتلوه، ونادوا بهذه الأبيات:

نحـــن قتلنـــا مـــسعرا إذ ســفه الحــق وســن المنكــرا

قنعتـــه ســيفا حــساما مــشهرا بـــشتمه نبينـــا المطهـــرا

ففيها ضعف، وبينته في الأجوبة الحديثية والشعرية.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، قال تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، إنما هو مرسل إلى الجن والإنس كافة.

فائدة: قد يقول قائل: أليست الردة محبطة للعمل؟ فكيف يقال في تعريف الصحابي (هو من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك) ولو تخللت ردة؟

يقال: الردة محبطة للعمل إن مات عليها؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [الزمر:٦٥]، هذه الآية وما كان من بابها مبين بقول الله سبحانه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [البقرة:٢١٧]، إذا مات على الكفر، أما إن مات على الإسلام حسب له حتى ما كان يعمل في الجاهلية على ما ثبت ذلك في الحديث، أنه تحسب له أعماله في الجاهلية، من إكرام ضيف، وحسن جوار، وصلة رحم في الجاهلية تحسب له إذا حسن إسلامه ومات على الإسلام؛ لحديث: «**أسلمت على ما أسلفت من خير**»، ولا يجب عليه الحج من جديد إذا كان قد حج قبل ذلك.

فالصحيح: أن حجَّه الماضي محسوب له ما دام مات على الإسلام، ولا يهدم حجه إلا إذا مات على الكفر؛ لقوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]، وقوله: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ [إبراهيم:١٨]، وقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ ﴾ [النور:٣٩].

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وَأَقُولُ فِي القُرآنِ ما جاءَتْ بِهِ آياتُهُ فَهُوَ الكريمُ الْمُنزَلُ

في بعض النُسَخ: (القَدِيْمُ المنزلُ)، ولا يوافق معتقد شيخ الإسلام هذا؛ فإن لفظة (الكريم) يدل عليها القرآن، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ * لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة:٧٧-٧٩].

أما (قديم) فالقديم المسبوق بشيء غيره، كما قال الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩].

قال الإمام ابن أبي العز رحمه الله في "شرح الطحاوية" (١/ ١٧٢): وَقَدْ أَدْخَلَ الْمُتَكَلِّمُونَ فِي أَسْمَاءِ الله تَعَالَى (الْقَدِيمَ)، وَلَيْسَ هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ الله تعالى الْحُسْنَى؛ فَإِنَّ الْقَدِيمَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ: هُوَ الْـمُتَقَدِّمُ عَلَى غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا قَدِيمٌ، لِلْعَتِيقِ، وَهَذَا حَدِيثٌ، لِلْجَدِيدِ. وَلَمْ يُسْتَعْمَلْ هَذَا الِاسْمَ إِلَّا فِي الْـمُتَقَدِّمِ عَلَى غَيْرِهِ، لَا فِيمَا لَمْ يَسْبِقْهُ عَدَمٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]، وَالْعُرْجُونُ الْقَدِيمُ: الَّذِي يَبْقَى إِلَى حِينِ وُجُودِ الْعُرْجُونِ الثَّانِي، فَإِذَا وُجِدَ الْحَدِيثُ قِيلَ لِلْأَوَّلِ: قَدِيمٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ [الأحقاف:١١]، أَيْ مُتَقَدِّمٌ فِي الزَّمَانِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ﴾ [الشعراء:٧٥-٧٦]، فَالْأَقْدَمُ مُبَالَغَةٌ فِي الْقَدِيمِ، وَمِنْهُ: الْقَوْلُ الْقَدِيمُ وَالْجَدِيدُ لِلشَّافِعِيِّ رحمه الله، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود:٩٨]، أَيْ: يَتَقَدَّمُهُمْ، وَيُسْتَعْمَلُ مِنْهُ الْفِعْلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًا، كَمَا يُقَالُ: أَخذني مَا قَدُمَ وَمَا حَدُثَ. وَيُقَالُ: هَذَا قَدَمَ هَذَا وَهُوَ يَقْدُمُهُ. وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْقَدَمُ قَدَمًا؛ لِأَنَّهَا تَقْدُمُ بَقِيَّةَ بَدَنِ الْإِنْسَانِ. وَأَمَّا إِدْخَالُ (الْقَدِيمِ) فِي أَسْمَاءِ الله تَعَالَى؛ فَهُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ، وَقَدْ أَنْكَرَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، مِنْهُمُ ابْنُ حَزْمٍ.اهـ

قوله: آياتـه.

وآيات القرآن لم تأتِ بـ(القديم) وإنما جاءت بـ(الكريم).

وجاءت آيات القرآن بفضائل القرآن، وأنه شفاء لما في الصدور، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤].

جاءت آيات القرآن بالحث على تلاوة القرآن، والعمل بالقرآن، وتدبره، والعناية به تفسيرًا وبيانًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في "مقدمة تفسيره" (١/ ٢٤) طبعة دار الصديق: فالواجب على العلماء الكشف عن معاني كلام الله، وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:٧٧]، فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله إليهم وإقبالهم على الدنيا، وجمعها واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله، فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه وتفهمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ * اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ

﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الحديد:١٦-١٧]، ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا هذا، إنه جواد كريم.اهـ

جاءت آيات القرآن بأن القرآن كلام الله، منزل منه سبحانه وتعالى، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢].

والكريم من أسماء القرآن، وله أسماء أخرى كثيرة ذكرها السيوطي رحمه الله في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" (ص١٦٧) طبعة دار الحديث، قال رحمه الله: وقال أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك المعروف بشيذلة في كتاب "البرهان": اعلم أن الله سمى القرآن بخمسة وخمسين اسما:

١) سماه: كتابا.
٢) ومبينا في قوله: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ [الزخرف:١-٢/ الدخان: ١ - ٢].
٣) وقرآنا.
٤) وكريما: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٧].
٥) وكلاما: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].
٦) ونورا: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].
٧) وهدى.
٨) ورحمة: ﴿لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ٧٧].
٩) وفرقانا: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].
١٠) وشفاء: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ [الإسراء: ٨٢].

١١) وموعظة: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧].

١٢) وذِكْرًا.

١٣) ومباركا: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

١٤) وعليًّا: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

١٥) وحكمة: ﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ [القمر: ٥].

١٦) وحكيما: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢].

١٧) ومهيمنا: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

١٨) وحبلا: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

١٩) وصراطا.

٢٠) ومستقيما: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢١) وقيما: ﴿قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢].

٢٢) وقولا.

٢٣) وفصلًا: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ [الطارق:١٣].

٢٤) ونبأً.

٢٥) وعظيمًا: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۞ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ: ١ - ٢].

٢٦) وأحسنَ الحديث.

٢٧) ومتشابهًا.

٢٨) ومثاني: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر: ٢٣].

٢٩) وتنزيلًا: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

٣٠) وروحًا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

٣١) ووحيًا: ﴿إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْىِ﴾ [الأنبياء: ٤٥].

٣٢) وعربيًّا: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢].

٣٣) وبصائرَ: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ [الجاثية: ٢٠].

٣٤) وبيانًا: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٨].

٣٥) وعلمًا: ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥ / آل عمران: ٦١].

٣٦) وحقًّا: ﴿هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢].

٣٧) وهديًا: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى﴾ [الإسراء: ٩]. اهـ

قلت: وأشهرها اسم:

١) القرآن. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

٢) الفرقان. قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١].

٣) الكتاب. قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢].

٤) التنزيل. قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢].

٥) الذكر. قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

قولهُ: وَأَقُولُ فِي القُرآنِ ما جاءَتْ بِه آياتُهُ.

جاءت آيات القرآن بأن القرآن كلام الله بحروفه وآياته، وسوره، وأجزائه، كل ذلك كلام الله، وأنه حروف وأصوات، فقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [آل عمران:٥٥]، قال عن موسى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف:١٤٤]، وكم من القرآن من الأحرف، (يا) حرف نداء (يا عيسى)، وهذا صوت سمعه عيسى، ويتكلم الله سبحانه وتعالى بالقرآن بحرف وصوت، وهكذا منزل من عند الله سبحانه وتعالى.

قال الطحاوي رحمه الله في "عقيدته": (ص٣١): وأن القرآن كلام الله منه بدأ -ما بدأ من شجرة كما يقول المعتزلة!- بلا كيفية قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله بالحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر:٢٦]، فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر:٢٥] علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر.اهـ

قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]، القرآن كلام الله بنص هذه الآية.

قوله: وهو الكريم المنزل.

وهو تنزيل، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر:١].

وقال تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢].

وقال تعالى: ﴿حم * تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ١-٢/ الأحقاف:١-٢].

وقال تعالى: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان:١-٣].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥]، تنزيلٌ، أنزله إلى بيت العزى، وكان ينزل على الحالات، وما كان لينزل جملة واحدة؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان:٣٢].

وقال الله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، فقد كان القرآن ينزل على حسب الحالات، لما قالوا قلاه ربه فأنزل الله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى:٣]، ولما سألوه عن

الروح؟ أنزل عليه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "تفسيره" سورة الفرقان [آية:٣٣] (٣/ ٤٣٦): وقال سعيد بن جبير: قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾، أي: بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول، ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ الفرقان: ٣٣]، أي: إلا نزل جبريل من الله تعالى بجوابهم، وما هذا إلا اعتناء وكبير شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحي من الله عز وجل بالقرآن صباحًا ومساءً، وليلًا ونهارًا، سَفَرًا وحضرًا، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كإنزال الكتاب مما قبله من الكتب المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد ﷺ أعظم نبي أرسله الله تعالى، وقد جمع الله للقرآن الصفتين معًا؛ ففي الملإ الأعلى أُنزِلَ جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أُنزل بعد ذلك إلى الأرض منجمًا بحسب الوقائع والحوادث.

وروي النسائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في "الكبرى" (١١٣٧٢) بإسناده عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: أنزل القرآن جملةً واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: فصل القرآن من الذكر، فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا، فجعل جبريل ينزله على النبي ﷺ يرتله ترتيلًا.

يطلق على المقروء؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأعراف:٢٠٤]، أي: قرئ المقروء، وهكذا قول الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨]، وقوله ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»، أي: زينوا التلاوة بأصواتكم.

وكونه في زبر الأولين، أي: ذكره، ليس معناه أنه مذكور بحروفه وآياته وسوره، فمعناه: أنه مذكور، كما أن النبي ﷺ مذكور في كتب ماضية، مذكور فيها، وليس النبي ﷺ بذاته فيها؛ لأن القرآن لو كان فيها بحروفه، وآياته؛ لكان قد نزل على غير نبينا محمد رسول الله ﷺ، وَلَـمَا كان من معجزته، ولكان منسوخًا كما نسخت الكتب التي قبله، ولما كان مهيمنًا عليها، والله عز وجل يقول: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].

وفرق بين هذا وبين قوله: ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج:٢٢]، أو: ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة:٧٨]، أي: مكتوب، وقوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٩٦]، أي: ذكر، وليست كتابته.

وجاءت الأحاديث النبوية بأنه يشفع لأصحابه يوم القيامة، كما في حديث النواس رضي الله عنه، وفي "صحيح مسلم" من حديث أبي أمامة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقرءوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران؛ فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة**».

فالقرآن مُنزل من عند الله، ما هو منزل كإنزال المطر، ولا كإنزال الثمانية الأزواج، ولا كإنزال الحديد، فقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ ﴾ [الحديد:٢٥]، الحديد ينزل من رءوس الجبال، والمطر من السماء: ﴿وَأَنزَلْنَا

مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا * لِّنُحْـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةً مَّيۡتًا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴾ [الفرقان:٤٨-٤٩]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٍ ﴾ [الزمر:٦] يعني: من أصلاب الفحول في أرحام الإناث، هذا معنى الإنزال في هذه الآيات المذكورات.

أما القرآن فتقدم أنه منزل من الله عزوجل: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ * عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

قال شيخ الإسلام رحمة الله عليه:

وَأَقُولُ قَالَ اللهُ جَلَّ جَلالُهُ … والْمُصْطَفَى الْهَادِي وَلاَ أَتَأَوَّلُ

هذه أصول الاستدلال، يذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن الصفات تثبت بالكتاب وبالسنة الصحيحة.

أيضًا ويُنَبِّه على أنه ما يستدل بالحديث الضعيف حتى في الترغيب والترهيب، فضلًا عن الصفات، وفضلًا عن الأحكام جميعها، ما يستدل بالحديث الضعيف؛ فإن الاستدلال به مجرد تخمين، وعندنا من الأحاديث الصحيحة والأدلة الثابتة ما يُغني، وما لو عمل به الإنسان؛ لكان من الأبرار إن شاء الله؛ إن صدق مع الله.

وقد قال بالتحديث بالضعيفة بالترغيب والترهيب بعض أهل العلم، وهو قول مرجوح، واشترطوا أن لا يشتد فيه الضعف، وأن يندرج تحت أصل، وأن لا يُعتقد أن النبي ﷺ قاله، ولسنا بحاجة إلى مثل هذا الذي لا نعتقد أن النبي ﷺ قاله، وإن كانوا أرادوا أنه مما يندرج تحت أصل ومما تعددت طرقه؛ فهو الحسن لغيره، يُلحق بالحديث الصحيح، يستدل به في الأسماء والصفات وغيرها، الحديث الحسن يستدل به في الحدود، وفي الصفات وفي غيرها، سواء حسن لذاته أو حسن لغيره، وقد استدل شيخ الإسلام رحمه الله بحديث: «**وما سكت عنه؛ فهو عفو**»، استدل به على إثبات السكوت لله سبحانه وتعالى، وهو حديث ما من طرقه من طرق إلا وفيها ضعف، إلا أنه يصلح للاحتجاج بمجموعها.

ومؤدى قول شيخ الإسلام هنا أنها توقيفية.

والطحاوي يقول فيما يتعلق بالرؤية: إذا كان تأويل الرؤية، وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل، ولزوم التسليم، وعلى ذلك دين المسلمين.اهـ

دين المسلمين: أن الأدلة تبقى بغير تأويل، وأنها تثبت بالكتاب وبالسنة، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]، وقال سبحانه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

قوله: جلَّ جَلالهُ.

فيه تعظيم الرب سبحانه، وأن الإنسان إذا ذكر الله عز وجل إما أن يقول: جل جلاله. أو يقول: قال تعالى. أو يقول: سبحانه...، أو ما إلى ذلك من الألفاظ التي فيها تعظيم الله عز وجل.

قال ابن منظور رحمه الله في "لسان العرب": الله، الجليل، سبحانه، ذو الجلال والإكرام، جل جلال الله، وجلال الله عظمته، ولا يقال: الجلال إلا لله، والجليل قد يوصف به الأمر العظيم، والرجل ذو القدر الخطير.اهـ

قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" عند قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والإكرام، أي: هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف، كقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] وكقوله إخبارًا عن المتصدقين: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، قال ابن عباس: ذو الجلال والإكرام ذو العظمة والكبرياء.

قوله: والـمُصْطَفَى.

قال أبو البقاء في "الكليات": الاصطفاء في الأصل تناول صفوة الشيء كما أن الاختيار تناول خيره، والاجتباء تناول جابته، أي: وسطه، وهو المختار، واصطفاء آدم النبي على العالم بأن رجحه على جميع الملائكة، واصطفاء نوح عليه الصلاة والسلام على

العالم بأن أهلك قومه وحفظ نوحًا وأتباعه، واصطفاء آل إبراهيم على العالم بأن جعل دينهم شائعًا، وذلل مخالفيهم، واصطفاء موسى وهارون على العالم بأن جعل فرعون مع عظمته وغلبة جنوده مغلوبًا، واصطفاء محمد ﷺ على جميع المكونات بأن جعله حبيبًا ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٣١].اهـ

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ في "زاد المسير" (١/ ٣٧٤): قال الزجاج: ومعنى اصطفاهم في اللغة: اختارهم، فجعلهم صفوة خلقة، وهذا تمثيل بما يرى؛ لأن العرب تمثل المعلوم بالشيء المرئي، فإذا سمع السامع ذلك المعلوم كان عنده بمنزلة ما يشاهد عيانًا، فنحن نعاين الشيءَ الصافي أنه النقي من الكدر؛ فكذلك صفوة الله من خلقه.اهـ

أخرج الإمام مسلم في "صحيحه" (٢٢٧٦): عن واثلة بن الأسقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**».

قولهُ: والمصطفى الْهَادِي.

الهادي صفة للنبي ﷺ قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [الشورى:٥٢]، وقال سبحانه: ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ** ﴾ [التوبة:٣٣]، وقال تعالى: ﴿**وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ**﴾ [الرعد:٧]، الرسول ﷺ.

سؤال: ما الجمع بين قوله تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ** ﴾ [القصص:٥٦]، وقوله: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾؟

الجواب: الجمع بين الآيتين: أنه هادي، ويهدي إلى صراط مستقيم، أي: يدل ويرشد، وليس معناه أنه يهدي: يوفق؛ فهداية التوفيق لله سبحانه وتعالى.

قوله: وَلاَ أَتأَوَّلُ.

النهي عن التأول في هذا الموضع هو: التأوّل الذي بمعنى تحريف الأدلة، وهو نقل الأدلة عن ظاهرها لغير دليل، أما إن كان لدليل فيجوز، فالتأويل هنا له معنيان:

المعنى الأول: أنه ينقله عن غير ظاهره لدليل يدل عليه، نحو: ﴿**أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ [النحل:١] ﴿**أَتَىٰٓ**﴾ فعل ماضٍ، يدل على أنه قد أتى أمر الله الساعة، لكن الدليل في الآية: ﴿**فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾ يدل أنها فيما بعد، وإنما أراد به إخبارًا عن شيء حاصل بلا محالة؛ لقوله: ﴿**فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**﴾.

وحديث: «**مرضت فلم تعدني**» هي دلالة في الحديث نفسه فيه: «**مرض عبدي فلان، ولو عدته لوجدتني عنده**».

. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في "صحيح البخاري": «**لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها..**» إلى آخر الحديث وهو قدسي، جاء ما يدل في الحديث نفسه على أن المقصود: أوفق سمعه وبصره...، إلى آخره، قوله: «**ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل**» ففيه إثبات عبد ومعبود.

وقول الله تعالى: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت:٤٦]، قال بعض المفسرين: وما ربك بذي ظلم للعبيد؛ لأن (ظَلاَّم) صيغة مبالغة، والله عز وجل قد نفى عن نفسه الظلم قليله وكثيره، كما في الحديث القدسي: «**إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا**»، «**وما الله يريد ظلمًا للعباد**».

أما التأويل لغير ما يدل عليه فلا يجوز ذلك؛ لأن الأصل: بقاء الأدلة على ظاهرها وعدم التأويل.

وقد يكون التأويل بمعنى التفسير، ومنه قول الله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٣٦]، المقصود: (بتفسيره)، فالتفسير أيضًا على وجهين -إذا كان التأويل بمعنى: التفسير-: منه ما يحمد، ومنه ما لا يحمد، يحمد الصحيح من التفسير، والذي لا يحمد هو الإسرائيليات، وكذلك التأويل بالضعاف والموضوعات، والأقوال البعيدة عن الحق.

وقد يكون التأويل بمعنى ما يؤول إليه الأمر: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:٥٣]، أي: هل ينظرون إلا تحقق ما أخبر به.

فالتأويل المقصود في هذه الفقرة (ولا أتأول) هو واحد من هذه المعاني كلها، وهو التأويل الذي بمعنى التحريف، نقل الكلام عن ظاهره لغير دليل يدل عليه، الذي فعله المبتدعة، فتأولوا صفات الله سبحانه على غير مراد الله.

كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] قالوا: جرّحه.

ونحو قول النبي ﷺ: **«لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته، ولا تمثالًا إلا طمسته»**، قالوا: «سويته» أصلحته! التسوية بمعنى الإصلاح! تصلحه وترممه، وهذا ليس بصحيح، المقصود: **«إلا سويته»** التسوية بالأرض، ولا يكون مرتفعًا؛ فإن ارتفاعها من ذرائع الشرك بالله، ومما يؤيده أن النبي ﷺ نهى عن تجصيص القبور.

فالتأويل الذي هو نقل الكلام عن ظاهره لغير دليل يدل عليه؛ خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة جميعًا (أمروها كما جاءت)، وهكذا الأصل: أن تبقى على ظاهرها الأدلة بدون تأويل.

آثار السلف أن أسماء الله على التوقيف:

قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء، بل يصفه بما وصف به نفسه. "شرح الطحاوية".

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: لله تعالى الأسماء والصفات، جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه ﷺ لا يسع لأحد من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردها. "ذم التأويل".

وقال الإمام أحمد رحمه الله: ولا معلوم إلا بما وصف به نفسه فهو صحيح بصير بلا حد ولا قدر، ولا يبلغ الواصفون صفته ولا يتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، ولا يتعدى ذلك. "المسائل والرسائل في العقيدة" للإمام أحمد، و"اجتماع الجيوش الإسلامية" و"الفتاوى".

وقال الإمام الدارمي أبو سعيد عثمان بن سعيد رحمه الله: ونصفه بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ. "الرد على بشر المريسي" ضمن"عقائد السلف".

وقال الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق رحمه الله: فنحن وجميع السلف من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا: أن نثبت لله ما أثبته لنفسه. "التوحيد لابن خزيمة".

وقال الإمام أبو بكر أحمد بن إسماعيل المعروف بالإسماعيلي رحمه الله: ويعتقدون أن الله مدعو بأسمائه الحسنى موصوف بصفاته التي سمى ووصفه بها نبيه ﷺ. "اعتقاد أئمة أهل الحديث".

وقال الإمام أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي رحمه الله: وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفية، ولا يجوز أن يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ.

الرد على من أنكر الحرف والصوت:

وقال الإمام ابن عبد البر رحمه الله: أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة في الكتاب والسنة، والإيمان بها على الحقيقة لا على المجاز. "التمهيد"، و"الفتاوى".

وقال أبو القاسم القشيري رحمه الله: الأسماء تؤخذ توقيفًا من الكتاب، والسنة، والإجماع. "الفتح".

وقال أبو الحسن القابسي رحمه الله: أسماء الله وصفاته لا تعلم إلا بالتوقيف من الكتاب، والسنة، أو الإجماع، ولا يدخل فيها بالقياس. "الفتح".

وقال ابن منده رحمه الله: وأسماء الله وصفاته توقيفية، و أهل السنة والجماعة لا يثبتون لله إلا ما أثبته لنفسه في كتابه، أو صح عن رسول الله ﷺ. "التوحيد لابن منده".

وقال ابن حزم رحمه الله: فصح أنه لا يحل أن يسمى الله تعالى إلا بما سمى به نفسه. "المحلى".

وقال الإمام البغوي رحمه الله: أسماء الله تعالى على التوقيف. "معالم التنْزيل".

وقال السفاريني رحمه الله في "لوامع الأنوار":

لكنها في الحق توقيفية   لنا بذا أدلة وفية

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، ويصان ذلك عن التحريف والتمثيل والتكييف والتعطيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله.اهـ المراد من "مجموع الفتاوى".

وقال تلميذه الإمام ابن القيم رحمه الله ضمن قواعد ذكرها في الصفات، قال: السابع أن

ما يطلق عليه من باب الأسماء والصفات توقيفي.اهـ من "بدائع الفوائد".

وعليه فلا يجوز إثبات اسم لله، ولا صفة بغير دليل صحيح ينص عليها؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠]، وإثبات صفات الله بالعقل وبالتفكر قول على الله بلا علم، وقد قرن الله عز وجل القول عليه بغير علم بالشرك الأكبر، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء:٣٦]، والحمد لله.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أَمُرُّهَا حقًّا كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

المقصود بالطراز الأول هنا: السلف الصالح رضوان الله عليهم، حتى قال حسان رحمة الله عليه:

بِيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأنوفِ من الطِّرازِ الأوّلِ

قال في "مختار الصحاح": أي: من النمط الأول.

قوله: وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أَمُرُّهَا.

يمرها على ظاهرها بدون تحريف، ولا تأويل، وكذلك الصفات بغير تكييف، ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل، تمر الأدلة على ظاهرها، بعض أهل الهوى تأولوا هذا النص عن أحمد، فقالوا: (أمروها كما جاءت) المقصود: التفويض، وليس هذا الظن منهم بصحيح، وقول أحمد وعقيدته في هذا معلومة خلاف ما يراه المفوضة في معاني الصفات، فالتفويض في معاني الصفات لا يجوز وإنما في الكيفية، نثبت لله سبحانه وتعالى كيفية لا نعلمها نحن قاله مالك، وربيعة، وأم سلمة هذا عنهم بين صحيح وبين ضعيف.

وليس منهم أحد قال: الكيف معدوم، لله كيفية نحن نجهلها.

وهذا شامل للأسماء من باب أولى، آيات صفات الله سبحانه وتعالى، صفات الله كما سبق أنها توقيفية، وهي أعلام وأوصاف، كل اسم لله سبحانه وتعالى يتضمن صفة، وهي أعلام على رب العالمين سبحانه وتعالى، وليست معانيها بمترادفة، (فالرحمن) من أسماء الله، ومعناه خلاف معنى العزيز، خلاف معنى العليم، معناه غير معنى العليم، من حيث المعاني تختلف (الجبار) غير معنى (الملك)؛ فهي أعلام وأوصاف، وليست محصورة بعدد.

وحديث: «**اللهم إني أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، وجلاء همي، وذهاب حزني**»، له طرق يصلح بها للاحتجاج، ما من طريق من طرق هذا الحديث إلا وفيها ضعف، لكن له طرق؛ فيصلح.

وهذا عليه جمهور أهل السنة: أنها غير محصورة بعدد، شيخ الإسلام رحمة الله عليه يقول عند حديث الوليد بن مسلم الذي فيه سرد الأسماء الحسنى، يقول: أهل المعرفة لا يثبتونه. بمعنى كلامه، هو صحيح: أنها ليست محصورة، وأن حديث أبي هريرة ﵁ الذي هو من طريق الوليد بن مسلم معل بالاضطراب، وقد قالوا عنه مدرج، وأيضًا فيه عنعنة الوليد بن مسلم وهو مدلس من الطبقة الرابعة التي قال عنها الحافظ ابن حجر ﵀ في مقدمة كتابه "مراتب المدلسين": إنها لا تقبل عنعنتهم إلا فيما صرحوا فيه؛ لكثرة روايتهم عن الضعفاء وعن المجاهيل.

أما الثابت عن النبي ﷺ: «**لله تسعة وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة**»، بدون ذكر الحصر فيها، وليس في هذا الحديث حصرها بتسعة وتسعين اسمًا، ولكن هذا القدر منها، من علمه وعمل به دخل الجنة، ويضربون مثل لذلك: أنك تقول: عندي مائة ريال. ليس معناه: ما عندك إلا تلك المائة!

ومما يتعلق بذلك من أسماء الله وصفاته: أنها كلها حسنى، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:١٨٠]، وصفاته عليا، قال تعالى: ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الروم:٢٧]، أي: الوصف الأعلى.

أسماء الله إنْ تسمى بها الناس فيكون اسم المتسمي به على ما يليق بضعفه، واسم الله سبحانه وتعالى، وصفاته تليق بجلاله، فقد جاء في القرآن تسمية بعض عباد الله ببعض مما

سمى الله به سبحانه وتعالى بنفسه مثل: الملك، والعزيز، والمؤمن، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦]، وقال تعالى: ﴿امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا﴾ [يوسف:٣٠]، هذا الملك ليس كالملك، والعزيز ليس كالعزيز، يقال: فلان مؤمن، المؤمن من أسماء الله وليس المؤمن كالمؤمن، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

قال تعالى: ﴿وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور:٩].

❁ والسخط، قال تعالى: ﴿أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ [المائدة:٨٠].

❁ والرضا، قال تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة:١١٩].

❁ والمحبة، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة:٥٤]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢].

❁ والنزول، قال ﷺ: **«ينزل ربنا في الثلث الأخير إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له..»** الحديث.

❁ من صفات الذات الوجه، قال تعالى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧]، في نحو أحد عشر موضعًا من القرآن أثبت الله لنفسه الوجه، وصفة النفس، قال سبحانه: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقال جل جلاله: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة:١١٦] بنحو خمس آيات من القرآن أثبت لنفسه صفة النفس، ولا تثبت لله الروح ما أثبتها السلف ولا دليل على ذلك.

❁ وصفة اليدين، قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وسائر ما ثبت لله عزوجل من الأسماء والصفات كلها تبقى على ظاهرها، كما يليق بالله عز وجل.

وكل هذه الأسماء والصفات لذات الله تعالى، قال خبيب:

وذلـــك في ذات الإلـــه وإن يـــشأ   يبـــارك عـــلى أوصـــال شـــلو ممـــزع

وفي "الصحيح": أن إبراهيم قال: «**كذبت في ذات الله ثلاث كذبات**»، وهكذا في أبيات لحسان:

وأن أخـــا الأحقـــاف إذ قـــام فـــيهم   يجاهـــد في ذات الإلـــه ويعـــدل

فهكذا تثبت المجيء أيضًا من الصفات الفعلية، قال تعالى: ﴿**وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا**﴾ [الفجر:٢٢]، والإتيان، وإن كان معنى المجيء الإتيان، لكن تثبت الصفة على ما جاء بها الدليل، ودل على الإتيان قول الله تعالى: ﴿**هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ**﴾ [البقرة:٢١٠].

۞ والأصابع لله سبحانه وتعالى، قال ﷺ: «**إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن**».

۞ والكف؛ لحديث: «**والميزان في كف الرحمن**».

۞ والقبض والبسط؛ لقوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ**﴾ [البقرة:٢٤٥]، وكما في الحديث: «**يخفض القسط ويرفعه**».

فإمرار جميع آيات الصفات، سواء في القرآن، أو في السنة، على ما جاءت حقًّا بغير تحريف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ولا يقال مجاز وكناية، الوجه عن الذات، أو يقال: إن اليدين كناية عن النعمتين.

۞ وكذلك المحبة ما يقال هي الرضا، إنما هذا من لازمها، والكراهة دليلها أن النبي ﷺ قال: «**إن الله كره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال**»، وقال تعالى: ﴿**وَلَٰكِن**

﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦].

۞ وكذلك (الأسف) بمعنى: الغضب لا بمعنى الحزن؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف:٥٥].

المفوض إذا قلت له: ما معنى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]؟

يقول: ما أدري.

وما معنى: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة:١٧٩].

يقول: معناها كذا.

هذا تحكّمٌ في دين الله، كيف تفهم آية الصلاة، وآية الزكاة، وآية القصاص، وما تفهم آية الصفات؟! وكأن الله سبحانه أنزل كتابه يعمي على الناس لا ليبين لهم دينهم، وهو القائل سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦].

والقائل سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

والقائل جل شأنه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٨].

والقائل في كتابه الكريم: ﴿عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥].

والقائل جل وعلا: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤].

والقائل تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [المؤمنون:٦٨].

والقائل عز وجل: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا

كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢].

والقائل سبحانه وتعالى: ﴿حمٓ * وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [الزخرف:١-٢].

وأيضًا كتاب الله ميسر، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨].

ويقول ﷺ: «**تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك**»، ويقول ﷺ: «**إنه ما من نبي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم**» من حديث ابن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

وقال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:٤٤].

فإذا قيل بالتفويض في معاني الصفات، معناه: أن النبي ﷺ ما بين أهم شيء في أمور دينهم، ولم يمت ﷺ حتى أكمل الله به الدين، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣].

ومن أعظم ما أتمه وأكمله صفات الله سبحانه وتعالى، وأيضًا يقتضي أن أهل العلم ما بينوا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران:١٨٧]، وأنهم فعلوا كما فعل بنو إسرائيل، فالتفويض في معاني الصفات ضلال.

ومما يثبت صفة القدم حديث: «**يضع قدمه على النار، فتقول: قط قط...**» الحديث، وهكذا المشي والهرولة؛ لحديث: «**قال الله تعالى: يا بن آدم قم إلي أمش إليك وامش إليّ أهرول إليك**».

وثبت لله سبحانه وتعالى الحقو كما في حديث: «**والرحم معلقة بحقو الرحمن**»، كما يليق بجلاله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]،.

ومما ثبت لله سبحانه: الساق، قال ﷺ: «**فيكشف الرحمن عن ساقه سبحانه وتعالى** ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾»، الساق يثبت لله سبحانه وتعالى، هذا ما تيسر ذكره مما نوه عليه وأشار شيخ الإسلام بقوله:

وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أَمُرُّهَا حَقًّا كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

وبما حاصله: أن التفويض واجب في كيفية الصفات، ومحرم في معانيها؛ لأن الكيف مجهول وليس بمعدوم.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

وأَرُدُّ عُهْـــدَتَها إلى نُقَّالِهـــا وأصـــونُها عـــن كُـلِّ مـا يُتَخَيَّـلُ

قوله: عُهْدَتَها.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في "غريب الحديث" (٣/ ١٣٨): العهد في أشياء مختلفة، فمنها: الحفاظ، ورعاية الحرمة، والحق، وهو هذا الذي في الحديث -أي: حديث «...، **وإن حسن العهد من الإيمان**»- ومنها: الوصية والإخبار، وهو أن يوصي الرجل إلى غيره كقول سعيد حين خاصم عبد ابن زمعة في ابن أمته، فقال: ابن أخي عهد إليَّ فيه أخي. أي: أوصى إلي فيه، وقال الله تبارك وتعالى:﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ [يس: ٦٠] يعني الوصية والأمر. **ومن العهد أيضًا**: الأمان، قال الله تعالى:﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقال: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة:٤]. **ومن العهد أيضًا**: اليمين يحلف بها الرجل يقول: علي عهد الله. **ومن العهد أيضًا**: أن تعهد الرجل على حال، أو في مكان فيقول: عهدي به في مكان كذا وكذا، وبحال كذا كذا، وعهدي به يفعل كذا وكذا. وأما قول الناس: أخذت عليه عهد الله وميثاقه؛ فإن العهد ههنا اليمين وقد ذكرناه.اهـ

وقال أبو البقاء في "الكليات" (٦٤٠): العهد الموثق، ووضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد؛ كالقول، والقرار، واليمين، والوصية، والضمان، والحفظ، والزمان، والأمر، يقال: عهد الأمير إلى فلان بكذا إذا أمره، ويقال للدار من حيث إنها تراعى بالرجوع إليها، وللتأريخ لأنه يحفظ، والعهد توحيد الله، ومنه: ﴿إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [البقرة:٤٠].اهـ

ومعنى ذلك: أنه يرد عهدة هذه الأدلة، آيات الصفات، وأحاديث الصفات، يرد

عدتها إلى نقالها من السلف رضوان الله عليهم، فالذين نقلوها من أصحاب النبي ﷺ والتابعين أعلم بها وأعلم بمدلولاتها؛ وعلى هذا فإن ما كان ظاهر الصفة ولم يقل به أحد من السلف ما نقوله به.

مثل: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، الجنب لله تعالى ما أثبته إلا بعض الذين خالفوا السلف رضوان الله عليهم في ذلك، وأئمة التفسير من أهل السنة قالوا: المقصود: على ما قصّرت في جانب حقه.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة، ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين لله عز وجل.اهـ

ومثل الدهر، جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ القدسي المتفق عليه: **«يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»**، زل ابن حزم فأثبت الدهر من أسماء الله سبحانه، جمهور أهل السنة ما أثبتوا الدهر من أسماء الله، على هذا ما نثبت الدهر من أسماء الله؛ لأن المقلِّب والمقلَّب يختلفان، الله سبحانه يقول: **«أقلب الليل والنهار»**، فليس من أسماء الله الدهر؛ من قال: هذه الأدلة ما أثبتوها، نقول: نحن نرد عهدة هذه الأدلة على نُقَّالِها، نثبت ما أثبته الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

ومسألة الجهة لم يأتِ بها نصٌّ من كتابٍ ولا سنةٍ، ويُغني عن هذا الذي ما أتى في كتاب ولا في سنة: إثبات صفة العلو الثابتة في الكتاب والسنة في مئات الأدلة، أن الله في السماء مستوٍ على عرشه.

وهكذا الحركة ما أتى بها نص من كتاب ولا سنة، ما أنت بحاجة إلى الخوض في هذه المسألة، كلها ما أتى بها دليل، يُغني عن ذلك أدلة النزول: **«ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا»**.

وهكذا في (مسألة الجسم) ما عليها دليل، هشام بن الحكم الرافضي أول من قال بالجسم، والخوض في هذه المسائل المحدثة، لا دليل عليه، ومنهم من يفصل في هذا يقول: إن أردت كذا فهو كذا، وإن أردت كذا فهو كذا، من علمائنا رضوان الله عليهم، كما في "شرح الطحاوية" لابن أبي العز رحمه الله، لكن السكوت والإعراض عما لا دليل عليه من ذلك أولى، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]، وثبت أن النبي ﷺ قال: «**وما سكت عنه فهو عفو**»، وقال تعالى: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [المائدة:٣]، ومن أعظم ديننا الذي أكمله الله لنا علم أسمائه وصفاته.

والشمال، جاء في "الصحيح": «**وكلتا يديه يمين**»، حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: «**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين..**»، في "مسلم".

وجاء حديث أن النبي ﷺ أثبت الشمال لله عز وجل، وهي رواية منكرة، في "صحيح مسلم"، تفرد بها عمر بن حمزة، وعمر بن حمزة ضعيف، وجاء من حديث أبي الدرداء نحو هذا على أنه عن يسار: «**فيأخذ قبضة بيساره وقبضة بيمينه، ويقول: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، ويأخذ بيساره ويقول: هؤلاء إلى النار ولا أبالي**».

على كُلٍّ قد ثبت إثبات اليمين: «**كلتا يديه يمين**»، حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، وجملة الأحاديث بها.

قوله: وأصونُها.

إن الذي جعل الخلاف بين أهل السنة وبين أهل الأهواء: صيانة الأسماء والصفات عند ردها إلى عهدتها من الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح رضوان الله عليهم.

وصيانة دين الله، سواء صيانة العلم كما مر بنا في "مقدمة سنن الدارمي"، أو صيانة الإنسان نفسه بالعفة، أو صيانة دين الله عزوجل بتغيير المنكر والأمر بالمعروف، أو صيانة

أسمائه وصفاته عن الخوض فيها بما لا دليل عليه، كل هذا واجب الأدلة في ذلك معلومة.

قال ابن منظور رحمه الله في "لسان العرب" (١٣/ ٢٥٠): الصون أن تقي شيئًا أو ثوبًا، و صان الشيء صونًا، و صيانةً، وصيانًا، واصطانه، قال ابن أمية بن أبي عائذ الهذلي:

أبلغ إياسا أن عرض ابن أختكم   رداؤك فاصطن حسنه أو تبذل

أراد: (فاصطن حسنه)، فوضع المصدر موضع الصفة، ويقال: صنت الشيء أصونه. ولا تقل: أصنته، فهو مصون، ولا تقل: مصان.

وقوله: عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ.

المقصود أن ما يتخيله بعض الناس من التشبيه أو من التعطيل؛ فإن بعض أهل الأهواء تخيلوا صفات الله كصفات خلقه وشبهوا، وبعضهم لما شبه عطل، فكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:١-٤].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل:٦٠] أي: يعدلون بالله غيره.

وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ

* ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ * بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٨٥-٩١].

كل هذه الآيات تدل على أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ رد على المشبهة، ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ رد على المعطلة، (والكاف) ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ على أحسن الأقوال في ذلك أنها صلة وتوكيد، (ليس مثله شيء) فيكون (مثل) خبر (ليس) مقدم و(شيء) اسمها مؤخر.

قال نعيم بن حماد: من شبه الله بخلقه؛ فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه؛ فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا ما وصفه به رسوله تشبيه.

ونحو ذلك قول إسحاق بن راهوية: أن من شبه الله بخلقه كفر، ومن عطل الله عن صفاته أيضًا كفر، هكذا قال العلماء رضوان الله عليهم.

وقال الطحاوي في "عقيدته": نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام.اهـ

قوله: (ولا يشبه الأنام)، قالوا: في هذه الفقرة رد على المشبهة: أن الله لا يشبه الأنام، والمشبهة شبهوا الله بخلقه، وأشد المشبهة في ذلك هم الرافضة، تشبيه جهم عندهم مثل السبئية قالوا لعلي بن أبي طالب: أنت الله حقًّا.! شبهوه بالله سبحانه وتعالى، والجواربية أتباع داود الجواربي الذي كان يقول: أثبت لله كل جارحة فيّ إلا الفرج واللحية.!! تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وقد أفتى ابن لهيعة والأئمة في ذلك الزمن بقتله، فأماته الله

قبل أن يقتله الوالي.

والفرق بين لا يشبه الأنام ولا يشبهه الأنام:

(لا يشبه الأنام): أن الله لا يشبه خلقه، (ولا يشبهه الأنام): أن الخلق لا يشبهون الله، (لا يشبه الأنام) رد على النصارى الذين شبهوا عيسى عليه السلام بالله عزوجل، ولا يشبهه الأنام رد على المشبهة من الجهمية.

ومن شبهة المشبهة: حديث: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**»، قالوا: هذا تشبيه لله عز وجل بالقمر.

وإنما هذا تشبيه الرؤية بالرؤية، كأن تقول: رؤيتك لزيد كرؤيتك لهذا العمود، ليس معناه: أن العمود هو زيد.

ومن شبههم أيضا: حديث: «**إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته**»، وإذا أثبتنا لله سبحانه وتعالى اليدين، وأثبتنا له الوجه، وأثبتنا له سائر الصفات، فما المانع إثبات الصورة لله سبحانه وتعالى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

الصورة ثابتة لله سبحانه وتعالى، لكن صورة تليق بجلاله، ولا ينبغي أن يتخالج في الذهن التعطيل؛ فإنه كفر، ويؤدي إلى التشبيه، وهو كفر، وكل مشبه معطل، وكل معطل مشبه؛ فإن المشبهة شبهوا الله بعباده، والمعطلة ما عطلوا إلا بعد أن شبهوا الله سبحانه، يظنون أن هذه الصفات تشبه صفات المخلوقين فعطلوا الله سبحانه تنزيهًا فيما يزعمون، والتنزيه: أن تمر الأدلة على ظاهرها على ما أراده الله سبحانه وتعالى وعلمه.

وقوله: يتخيل.

قال ابن منظور رحمه الله في "لسان العرب" (١١/ ٢٣٠): تخيل الشيء له تشبه، وتخيل له

أنه كذا، أي: تشبه، وتخايل يقال: تخيلته فتخيل لي، كما تقول: تصورته فتصور، وتبينته فتبين، وتحققته فتحقق، و الخيال والخيالة ما تشبه لك في اليقظة والحلم من صورة.

قال الشاعر:

فلست بنازل إلا ألمت ... برحلي أو خيالتها الكذوب

وقيل: إنما أنث على إرادة المرأة، و الخيال و الخيالة الشخص، والطيف، ورأيت خياله وخيالته، أي: شخصه، وطلعته من ذلك التهذيب الخيال لكل شيء تراه كالظل، وكذلك خيال الإنسان في المرآة، وخياله في المنام: صورة تمثاله، وربما مر بك الشيء شبه الظل فهو خيال، يقال: تخيل لي خيال.

قال ابن الجوزي رحمه الله في "تلبيس إبليس" (٣٥٢): في الدماغ ثلاث قوى، قوة: يكون بها التخيل، وقوة يكون بها الفكرة، وقوة يكون بها الذكر، وموضع التخيل البطنان المقدمان من بطون الدماغ، وموضع التفكر البطن الأوسط من بطون الدماغ، وموضع الحفظ الموضع المؤخر؛ فإن أطرق الإنسان وغمض عينيه جال الفكر والتخيل؛ فيرى خيالات فيظنها ما ذكر من حضرة جلال الربوبية إلى غير ذلك، نعوذ بالله من هذه الوساوس والخيالات الفاسدة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللهُ:

قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القرآن وراءَهُ وإذا استَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللهُ في "لسان العرب" (٢/ ٥٥٢): القبح ضد الحسن يكون في الصورة والفعل...، قبح الله فلانًا قبحًا وقبوحًا، أي: أقصاه، وباعده من كل خير.اهـ

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ في "تفسيره" (١٣/ ٢٩٠): ﴿**وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ**﴾ [القصص: ٤٢]، أي: من المهلكين الممقوتين، قاله ابن كيسان، وأبو عبيدة، وقال ابن عباس: المشوهين الخلقة بسواد الوجوه، وزرقة العيون، وقيل: من المبعدين، يقال: قبحه الله، أي: نحاه من كل خير.اهـ

في هذا البيت يشنع شيخ الإسلام رحمة الله عليه على أولئك الذين أعرضوا عن الأدلة.

قوله: قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القرآن وراءَهُ.

هذا التقبيح ليس للمعين، وإنما هو تقبيح لمن اتصف بهذه الصفة.

التقبيح المطلق، أو اللعن المطلق في القرآن، وفي السنة ما يدل على ذلك، قال تعالى: ﴿**ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ**﴾ [آل عمران:٦١]، وقال: ﴿**أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ**﴾ [الأعراف:٤٤].

وقال ﷺ: **«لعن الله شارب الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، وحاملها، والمحمولة إليه...»** الحديث.

وقال ﷺ: **«لعن الله الراشي والمرتشي»**، وقال: **«لعن الله من أوى محدثًا، لعن الله من غير منار الأرض، لعن الله من لعن والديه»**، وجاء في الحديث: **«المدينة حرم ما بين عير إلى ثور**

فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى محدثًا؛ فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا»، فهذا يدل على اللعن بالوصف، سواء كان في حق أهل المعاصي، أو في حق أهل البدع.

وقد وجد من السلف من يلعن بعض الطوائف، يزيد بن هارون قال لما سئل عن الجهمية: أولئك زنادقة، عليهم لعنة الله.

ونقل شيخ الإسلام رحمة الله عليه عن العلماء في زمنه، أن العلماء كانوا يلعنون الرافضة على المنابر، وكذلك أيضًا ذكروا عن عبد الله بن أبي أوفى أنه سأل سعيد بن جهمان عن أبيه؟ قال: قتلته الأزارقة. قال: لعن الله الأزارقة.

وهذا أيضًا من باب اللعن بالوصف وليس للمعين، أما لعن المعين؛ فإن جمهور الغلماء على النهي من ذلك، سواء كان لفاسق، أو لمبتدع، أو حتى لكافر من الكفار، ما دام حيًّا لا يلعن؛ فإن مات على كفره جاز لعنه، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران:١٢٨]، نهى الله نبيه عن لعن أولئك القوم.

وذكرهم الحافظ في "الإصابة"، أولئك الذين نهى الله نبيه عن لعنهم، أنهم أسلموا، وذكرهم الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في "الإصابة"، ومنهم من يجيز اللعن من باب السب، وترك هذا أولى، إذا كان سبه يسبه شيء آخر؛ اعتمادًا على حديث ذلك الرجل الذي كان يؤذي جاره، أتى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يؤذى، وقال: يا رسول الله، يؤذيني جاري. قال: **«اذهب فاصبر»**، فأتاه مرة ثانية، فقال: يؤذيني جاري. فقال: **«اذهب فاصبر»**، فأتاه وقال: يؤذيني جاري؟ قال: **«اذهب فاصبر»**، وفي الأخرى قال: **«اذهب فأخرج متاعك إلى الطريق»**، فأخرج متاعه في الطريق، وكان الناس يمرون يقولون له: ما لك؟ قال: يؤذيني جاري. قالوا: لعن الله جارك. ومن مر يقول: ما لك؟ قال: يؤذني جاري. قال: لعن الله جارك.

هذا الحديث من طريق عبدالله بن محمد بن عقيل، وفيه ضعف.

وهكذا أيضًا استدلوا بحديث: «اتقوا اللعانين» قالوا وما اللعانان يا رسول الله؟ قال: «الذي يتخلى في طريق الناس أو في ظلهم»، قالوا: لأن هذا في عادة الناس: أن من مر على مثل هذا الحال، ورأى مثل هذه المؤذيات قد يلعن وهو من باب السب، هذه عمومات قد يريدون بها السب، لكن الأولى تركه كما سمعت من تلك الأدلة التي فيها النهي عن لعن المعين، وعلى ذلك جمهور العلماء.

فنبذ القرآن يعتبر إعراضًا، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٤:١٢٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ [الجن:١٧].

ويقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة:٢٢]، ويقول جل ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [الكهف:٥٧].

ويقول عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

الإعراض هلكت به أمم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٥-١٧].

وقال سبحانه: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ * فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾ [الشورى:٤٧-٤٨].

ويقول سبحانه في سياق قصة محاجة النبي ﷺ لذلك المشرك، ثم قرأ عليه صدرًا من سورة فصلت إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت:١٣-١٤].

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:١-٢].

والمعرض يعرض الله عنه، كما في حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه المتفق عليه: أن النبي ﷺ كان في حلقة مع أصحابه، فدخل ثلاثة نفر: أحدهم وجد فرجة فجلس فيها، والآخر استحيى وجلس خلف الحلقة، والثالث ولى، فلما أكمل النبي ﷺ كلامه، قال: **«ألا أنبئكم عن النفر الثلاثة؟ أما أحدهم فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الآخر فاستحيى فاستحيى الله منه، وأما الآخر** -أو قال: **الثالث- فأعرض فأعرض الله عنه»**.

وقال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً * كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [المدثر:٤٩-٥٣].

المبتدعة عندهم إعراض؛ يسمعون كلام الله وكلام رسوله ﷺ، ويقابلونه بالتأويلات الفاسدة، كثير من الناس يسمعون آيات الله تتلى عليهم وما يستفيدون منها، كأن الله صرفهم عن ذلك، يقول تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ

ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٤٦].

نخشى عليهم من عواقب الإعراض، يقول الله عزوجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣].

وقوله: (قُبْحًا لِمَنْ نَبَذَ القرآن وراءَهُ)، وهكذا من نبذ السنة، فالقرآن إذا أطلق ليس معناه أنك ما تحتاج للسنة، إذا قال: تمسك بالقرآن. فإن المقصود القرآن والسنة، وإذا قال: عليكم بالثبات على سنة رسول الله ﷺ؛ السنة تشمل التمسك بالقرآن، هكذا يقول العلماء رحمة الله عليهم، لا على طريقة القرآنيين الضُّلَّال الذين يحشدون الأدلة من القرآن مثل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣].

وقوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [العنكبوت:٥١]، ويعني به أن هذا يكفي عن السنة، وأن السنة لا حاجة لها.

وهذا ضلال بعيد، ولا يصدر من رشيد، فالسنة وحي، قال تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:١-٤].

وقال ﷺ: «اكتب فوالذي نفسي بيده، لا يخرج منه إلا حقًّا».

وقال ﷺ: «اقرأ القرآن، فسيأتي قوم يتعجلون هذا القرآن ولا يتأجلونه».

وذكر الخطيب رحمة الله عليه في "الكفاية" جملةً في هذا الصدد في حجية السنة، واعتنى الشافعي في "الرسالة" بالأدلة من القرآن والسنة على حجية السنة، وأخذ هذا المبحث عنه، وزاد عليه السيوطي في رسالة مستقلة في حجية السنة، وهذا لا مدافعة فيه،

لكن وجد من بعض الزنادقة من ينكر السنة ويقول: ليست بحجة. ومؤدى هذا الكلام: أن الرسول ﷺ بعثته بالسنة وعدمها سواء، إنما جاء بالقرآن فقط، وحديث: **«دعوني ما تركتكم إنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم»**.

وجميع الأدلة كهذا مردودة على هذا القول، فمن أين عرفوا أن الصلاة خمس صلوات في كل يوم وليلة؟! ومن أين عرفوا أن صلاة الفجر ركعتين، والظهر أربعًا، والعصر أربعًا، والمغرب ثلاثًا والعشاء أربعًا، من أين عرفوا هذا؟! إلا من السنة، من أين عرفوا مناسك الحج؟ إلا من السنة، من أين عرفوا تفاصيل الزكاة؟ إلا من السنة، من أين عرفوا شئون الصيام وتفاصيله؟ إلا من السنة.

ومما يتعجب منه ما يستدل به بعض القرآنيين، أنه إذا سئل: كيف عرفت أن الصلوات خمس في اليوم والليلة؟ قال: يقول الله عز وجل: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ﴾، يعني: الفجر، ﴿وَثُلَٰثَ﴾، يعني: المغرب ﴿وَرُبَٰعَ﴾[النساء:٣]، يعني: الظهر والعصر والعشاء.

إنه فَهْمُ مَنْ طَمَسَ اللهُ بصيرَته؛ لأن الآية فيها: ﴿فَٱنكِحُواْ﴾.

قوله: نبذ.

قال ابن منظور رحمه الله في "لسان العرب" (٣/ ٥١١) النبذ طرحك الشيء من يدك أمامك أو وراءك، نبذت الشيء أنبذه نبذًا إذا ألقيته من يدك، و نبذته شدد للكثرة، و نبذت الشيء أيضًا إذا رميته وأبعدته، ومنه الحديث: «فنبذ خاتمه» فنبذ الناس خواتيمهم، أي: ألقاها من يده، وكل طرحٍ نبذٌ، نبذه ينبذه نبذا، ونبذ الكتاب وراء ظهره ألقاه، وفي التنزيل: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٨٧].اهـ

قولهُ: وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ.

الأخطل هو: غياث بن غوث، ويقال: ابن غويث بن الصلت بن طارقه بن سيحان بن عمرو بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب. ويقال: ابن غوث بن سلمة بن طارقة أبو مالك التغلبي النصراني المعروف بالأخطل الشاعر مترجم في "تاريخ دمشق" (٤٨/ ١٠٤)، و"سير أعلام النبلاء" (٤/ ٥٨٩).

نصرانيٌّ من نصارى تغلب، تركوا القرآن كلام الله عز وجل واستدلوا بقول شاعر نصراني، والله عز وجل يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦]، فيتركون هذا ويعمدون إلى قول الأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلًا

إنك لتجد كثيرًا منهم لا يحتجون بخبر الآحاد، وبعد ذلك يحتجون بخبر نصراني كافر! بغض النظر عن ثبوته إليه من عدم ثبوته، أو هو محرف أو هو مكذوب عليه، أو هل هو في ديوانه أو ليس في ديوانه، هل هو بسند أم بغير سند... إلخ، فهذا إعراضٌ عن الهدى، وإقبال على الهوى.

النصارى قد ضلوا في الكلام، بل ضلوا في معتقدهم، وقالوا: عيسى هو الله. وقال بعضهم: ابن الله. وقالوا: ثالث ثلاثة. فكيف يستدل بكلام نصراني، ويقدمه على كتاب الله وسنة رسوله؟!

فالكتاب والسنة يحكمان على كلام الرجال، وليس الرجال هم الذين يحكمون على القرآن والسنة، فهؤلاء الذين أخذوا بقول هذا النصراني دفعهم إليه الهوى.

(إن الكلام لفي الفؤاد) معناه هنا: أن كلام الله نفساني، وأن القرآن الموجود في المصحف هو عبارة عن كلام الله.

فحاصل ذلك أن ما في المصحف ليس بكلام الله.

هذا الكلام والله قبيح، الذي يقوله هؤلاء الأشاعرة وبنحوه عن الكلابية، ولو كان ما في النفس يعتبر كلامًا؛ لكان الذي يوسوس بطلاق امرأته يكون قد طلقها، أو يهم بعتق عبده يكون قد أعتقه.

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم**».

وفي الباب حديث معاذ رضي الله عنه: «**وهل يكب الناس على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم**».

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالًا يهوي بها في النار**».

وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»، فلو كان القائل والصامت سواء؟ حيث أن من يصمت يعتبر متكلماً! فما فائدة مثل هذه الأدلة.

واستدلوا بحديث معاوية بن الحكم رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**».

وقد نقلوا الإجماع على أن من تكلم في الصلاة عامدًا بطلت صلاته، فلو كان الساكت يعتبر متكلمًا فستبطل صلاته وهو ساكت.

وهكذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا نسلم على النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن نذهب إلى الحبشة وهو يرد علينا، فلما رجعنا سلمنا عليه فلم يرد علينا، وقال: «**إن في الصلاة لشغلًا**».

وعند قول الله عز وجل: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨]، حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه، قال: «لما نزلت هذه الآية أمرنا بالسكوت».

والأدلة كثيرة في هذا الصدد، على أن الساكت لا يعتبر متكلمًا، وأن هذا الكلام غير مستقيم أن يقال للساكت: متكلم، ففي "صحيح مسلم": أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه قول الله عز وجل: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] جثا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبهم، وقالوا: يا رسول الله، كلفنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام...، وذكروا من الأعمال، وقد نزلت هذه الآية ولا نطيقها، قال: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين: سمعنا وعصينا، بل قولوا سمعنا وأطعنا**»، فلما قالوا هذا القول وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ﴾ [البقرة:٢٨٥] الآية.

شاهدنا: أن قول الأشاعرة: (إن الكلام لفي الفؤاد) على أنه كلام نفساني ليس بصحيح، والكلام نطق مفهم يطلق على اللفظ والمعنى، وأن كلام الله حروف وأصوات ومعاني.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٦/ ٢٩٦): فالنصارى تتكلم بلا علم؛ فكان كلامهم متناقضًا، ولم يحصل لهم قول معقول، كذلك من تكلم في كلام الله بلا علم كان كلامه متناقضًا، ولم يحصل له قول يعقل؛ ولهذا كان مما يشنع به على هؤلاء أنهم احتجوا في أصل دينهم ومعرفة حقيقة الكلام كلام الله وكلام جميع الخلق بقول شاعر نصراني يقال له الأخطل:

إن الكــلام لفــي الفــؤاد وإنــما ... جعــل اللــسان عــلى الفــؤاد دلــيلا

وقد قال طائفة: إن هذا ليس من شعره، وبتقدير أن يكون من شعره فالحقائق

العقلية، أو مسمى لفظ الكلام الذي يتكلم به جميع بني آدم لا يرجع فيه إلى قول ألف شاعر فاضل، دع أن يكون شاعرًا نصرانيًّا اسمه الأخطل، والنصارى قد عرف أنهم يتكلمون في كلمة الله بما هوَ باطل، والخطل في اللغة هو الخطأ في الكلام، وقد أنشد فيهم المنشد:

قبحـــا لمـــن نبـــذ القـــرآن وراءه فـإذا اسـتدل يقـول قـال الأخطـل

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

والمؤمنون يَرَوْنَ حقـًّا ربَّهُمْ وإلى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

في هذا البيت إثبات رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى، ولم يخصصه في المحشر فهو يشمل رؤيتهم له عز وجل في المحشر وفي الجنة، وعجز البيت في إثبات نزول الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا، في الثلث الأخير من الليل على ما سيأتي بيانه إن شاء الله.

والمؤمنون يرون ربهم في موضعين: يوم القيامة في عرصات القيامة، ويرون ربهم في الجنة، وليس المقصود: أنهم يرونه بأعينهم الآن، ليس هذا من معتقد أحدٍ من أهل السنة: أن المؤمنين يرون ربهم يقظة في الدنيا كما عند الإمام مسلم عن رجل من الصحابة، وفيه: «**واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا**»، وليس المقصود أنهم حتى يموتوا يعني: حتى يناموا، أو وهم في القبر يرون ربهم، لا، إنما في عرصات القيامة، وفي الجنة في موضعين، فيبقى حديث: «**لن تروا ربكم حتى تموتوا**» أنه مبين بالأدلة الأخرى، فمقصود قول شيخ الإسلام: (والمؤمنون يَرَوْنَ حقـًّا ربَّهُمْ): أنهم يرون ربهم يوم القيامة، ويرون ربهم في الجنة.

قوله: يرون حقًّا ربهم.

أي: إنها رؤيةٌ حقيقية، رؤيةُ عينٍ.

وذكر هذا ابن كثير رحمه الله في تفسير قول الله عز وجل: ﴿**مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ**﴾ [النجم:١١]، نقله إجماعًا، وكذلك ابن تيمية أيضًا في "جامع المسائل" نقله إجماعًا أنه لم ير أحدٌ ربَّه بعينه في الدنيا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ٣٨٩): وكذلك كل من ادعى أنه رأى ربه بعينيه قبل الموت فدعواه باطل باتفاق أهل السنة والجماعة؛ لأنهم اتفقوا

جميعهم على أن أحدًا من المؤمنين لا يرى ربه بعيني رأسه حتى يموت، وثبت ذلك في "صحيح مسلم" عن النواس بن سمعان ﵁، عن النبي ﷺ أنه لما ذكر الدجال قال: «**واعلموا أن أحدًا منكم لن يُرى ربه حتى يموت**».اهـ

ويوم القيامة يراه المؤمنون من الجن والإنس، والرجال والنساء، وبعضهم ذكر خلافًا: هل النساء يرين ربهن أم لا؟ نعم يرينه، على ما تدل عليه الأدلة أن كل مؤمن من الجن والإنس، والرجال والنساء يرون ربهم في الجنة، فعلى هذا جرت الأدلة على قسمين: قسم يدل على رؤية المؤمنين لربهم في الجنة، وقسم يدل على رؤية المؤمنين لربهم في عرصات يوم القيامة.

يضاف إلى المؤمنين منافقوا هذه الأمة وغُبَّرات من أهل الكتاب يرونه في العرصات، كما في حديث أبي سعيد في "الصحيح": «**وغُبَّرَاتٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**».

قال ابن القيم ﵀ في "حادي الأرواح" (٢٦٩): الدليل الثاني قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ**﴾ [البقرة:٢٢٣]، وقوله تعالى: ﴿**تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ**﴾ [الأحزاب:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿**قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ**﴾[البقرة: ٢٤٩]، وقوله تعالى:﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ**﴾ [الكهف:١١٠]، وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى و المانع؛ اقتضى المعاينة والرؤية، ولا ينتقض هذا بقوله تعالى: ﴿ **فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ** ﴾[التوبة:٧٧]؛ فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة، بل والكفار أيضًا كما في "الصحيحين" من حديث التجلي يوم القيامة، وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة، **أحدها:** أن لا يراه إلا المؤمنون. **والثاني:** يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم، ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك. **والثالث:** يراه

المنافقون دون الكفار، والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد، وهي لأصحابه.اهـ

ومما يدل على رؤية الناس لربهم يوم القيامة لاسيما المؤمنون ومعهم منافقوا هذه الأمة، ومعهم بعض أهل الكتاب حديث أبي سعيد، وحديث جرير رضي الله عنهما في بعض ألفاظه: «**إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر هل تُضامون في رؤية القمر ليلة البدر**»، يعني: يصيبكم ضيم، وفي رواية: «**لا تَضامون**» يعني: ما يضم بعضكم بعضًا، كلكم يراه بغير مضامة ولا ازدحام.

وهكذا أيضًا قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣] تشمل رؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتعالى في العرصات يومئذ، وفي الجنة، وهكذا أيضًا قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه لا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر تلقاء وجهه، فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه**».

يكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، ذكر جماعة من أهل العلم وابن خزيمة ذكروا هذا مستدلين به وبأمثاله من أدلة اللقاء: «**واعلموا أنكم ملاقوه**»، فاستدلوا بهذه الأدلة على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

ويبقى أن ما دل عليه حديث أبي سعيد رضي الله عنه من رؤية المنافقين لربهم ورؤية غبرات أهل الكتاب، محمول على أنها رؤية ليس فيها تلذذ وليس فيها نعيم لهم.

وأما قول الله عز وجل: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين:١٥]، احتج الشافعي رحمه الله وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني، عن الشافعي.

وقال الحاكم رحمه الله: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان، قال: حضرت محمد إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عزوجل: ﴿كَلَّا

﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى.اهـ

فإنهم يرونه ثم بعد ذلك يحجبون، وتلك الرؤية ليست رؤية نعيم، أما المؤمنين فهي رؤية نعيم.

ومن الأدلة على رؤية المؤمنين لربهم عز وجل:

حديث أبي موسى رضي الله عنه المتفق عليه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن يروا ربهم إلا كشف حجاب الكبرياء**»، وفي رواية: «**الكبر عن وجهه**»، وهكذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه في "الصحيح" بنحو هذا.

· وأحاديث رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة متواترة كما قيل:

مما تواتر حديث من كذب	**ومن بنى لله بيتًا واحتسب**
ورؤية شفاعة والحوض	**ومسح خفين وهذي بعض**

وأَلَّفَ جماعةٌ من أهل العلم في الرؤية، ومن أحسن تلك المؤلفات كتاب "الرؤية" للدارقطني، وابن الوزير رحمة الله عليه جمع عن شيخ الإسلام رحمة الله عليه وغيره مبحثًا طويلًا في كتابه "العواصم" يستحق الإفراد في مجلد.

ورؤية الله عز وجل من أشرف المسائل التي شمر من أجلها المشمرون، وهل عبدَ العبادُ ربَّ العالمين وامتثلوا أمره إلا امتثالًا لطاعته، وطلبًا لمرضاته، فالصوفية يقول بعضهم: أنا ما أعبد الله خوفًا من النار ولا طمعًا في الجنة.! هؤلاء ما امتثلوا أمر الله، ولا هم على طريقة الأنبياء في هذا القول، قال تعالى عن الملائكة: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل:٥٠].

وقال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦]، وقال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾ [النبأ:٣١:٣٣]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:١٦]، وقال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦].

فكل هذه الأدلة تدل على أن الإنسان يعبد الله هربًا من سخطه وطلبًا لمرضاته، فيرجو أن يبعده الله عن النار وأن يدخله الجنة.

والمخالفون في رؤية الله يوم القيامة هم الجهمية، والمعتزلة، والشيعة، والخوارج، وإلا فسائر المسلمين مجمعون على أن الله عز وجل يراه المؤمنون يوم القيامة وفي الجنة، وهؤلاء الضلال المخالفون لأهل الحق خالفوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في ذلك على خطر عظيم.

قال الإمام أحمد رحمه الله: من أنكر حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبد الله البجلي؛ فهو جهمي.

وأقوال أخرى أن من أنكر رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة يكفر، وإنما بعضهم له تأويل، وإلا فهذا رد للقرآن، كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥] والزيادة والمزيد كلاهما في الجنة بنص حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه الذي من طريق حماد بن سلمة، عن ثابت ابن أسلم البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب بن سنان، عن النبي ﷺ قال: «**يتجلى الله سبحانه وتعالى لأهل الجنة، ثم يقول: هل تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الله سبحانه وتعالى عن وجهه فيتجلى لهم فيرونه فما**

أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى الله عزوجل».

أما قوله تعالى: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٣]، فقد رد أهل العلم على هذا أن الإدراك هو الإحاطة، وأن الله سبحانه وتعالى يراه عباده المؤمنون يوم القيامة ولا يدركونه.

يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ**﴾ [الشعراء:٦١-٦٢]، هل نفى موسى عليه الصلاة والسلام أنه ما أحد رأى الآخر؟ لا، ولكن نفى الإدراك، أنهم ما سيحاط بهم وما سيدركونهم؛ لأن الله معهم.

وقول الله عز وجل: ﴿**لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى**﴾ [الأعراف:١٤٣]، أهل العلم يستدلون بهذه الآية عليهم، قالوا: موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه شيئًا ممكنًا، ولكن لا يستطيعه في حياته الدنيا، ما يستطيع أحد أن يرى ربه، ولم يقض الله سبحانه لعباده أن يروه في الدنيا؛ فلهذا لم ينكر الله على موسى ولم يقل له: إني لا أُرَى. وقد قال سبحانه مخبرًا عن نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿**إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ * قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ**﴾ [هود:٤٥-٤٦] الآيات.

ومن شبهاتهم: أن (لن) تقتضي النفي مؤبدًا في قوله تعالى: ﴿**لَن تَرَىٰنِى**﴾ [الأعراف:١٤٣] وهذا قول مردود باطل، قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا فقوله اردد وسواه فاعضدا

فالله عزوجل يقول: ﴿**وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ [البقرة:٩٥] وقد تمنوه، قال تعالى: ﴿**وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ**﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨].

أما قول الله عزوجل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا﴾ [الحج:٧٣]، هذا على سبيل التحدي؛ فإنه شيء لا يقدر عليه إلا الله سبحانه وتعالى، وهو الخلق والإيجاد، هذا من خصائص الله سبحانه وتعالى، وعلى تقدير إفادتها التأبيد في هذا الموضع على هذا القول؛ فإنها لا تفيده في قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾؛ للأدلة المذكورة في هذا الباب، وليس هناك عموم يقتضي إفادتها التأبيد في كل موضع.

سؤال: كلمة: (حقًّا) تقتضي أنهم يرونه بأعينهم، وفي الحديث كذلك؛ لقوله: **«كما ترون الشمس ليس دونها سحاب»**، يرون ربهم بأعينهم لا بقلوبهم، فكيف حال رواية (عيانًا)؟

الجواب: الحديث الذي رواه جماعة من أصحاب إسماعيل بن أبي خالد، منهم: سفيان، ووكيع وآخرون، كلهم ما زادوا **«عيانًا»**، ورواه عبد ربه بن نافع أبوالشهاب وزاد **«عيانًا»**: **«إنكم سترون ربكم عيانًا»**، فهي زيادة شاذة، لكن بلا شك أنهم سيرون ربهم بأعينهم، للأدلة الأخرى التي تقدم ذكرها من حديث جرير ﷺ وغيره.

قولهُ: وإلى السماء بغير كيف ينزل.

أناس شبهوا، ثم عطلوا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، يقولون: يبقى الله طالعًا نازلًا؛ فإن وقت الليل مختلف من مكان إلى مكان.!!

شبهوا الله بخلقه، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]؛ فتبقى الأدلة على ظواهرها، يجب على المسلم أن يُعَوِّد نفسه على الاستسلام والانقياد لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ والاستسلام للأدلة، والانقياد لله ولرسوله.

والأدلة من القرآن كثيرة على أن الله سبحانه وتعالى في السماء وأنه: **«ينزل في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، فينادي هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له»**،

الحديث متفق عليه، وله ألفاظ.

ومن الأدلة على علوِّ الله سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه:

١) قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

٢) ومنها: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤].

٣) ومنها: إخبار ربنا سبحانه وتعالى في صعود العمل الطيب إليه: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠]، والصعود يكون من أسفل إلى أعلى.

٤) ومنها: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٨].

٥) ومنها: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد:٩].

٦) ومنها: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج:٣-٤]، العروج يكون من أسفل إلى أعلى كما في أحاديث المعراج.

٧) ومنها: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٨) ومنها: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى:١].

٩) ومنها: ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان:١-٣].

١٠) ومنها: ﴿حم * تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾[فصلت:١-٢]، يعني هذه الآية تبين الأولى أن القرآن نزل من الرحمن الرحيم.

١١) ومنها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ[القدر:١-٢]، تبين نزول الأمر من عنده، ونزول وحيه.

١٢) ومنها: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ [الإسراء:١٠٦].

١٣) ومنها: ﴿طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[طه:٢].

ومن السنة كثير أيضًا، وقد ألفت كتب في هذا، وإنما الاختصار أمرٌ قد أحبه كثيرٌ من الناس، والموفق يكفيه دليل واحد صحيح في إثبات العقيدة الصحيحة، عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم، لا خلاف في ذلك بين أهل السنة.

١) فمن تلك الأدلة: حديث معاوية بن الحكم ﷺ أنه قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون، لكني صككتها صكة، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: **«ائتني بها»**، فأتيته بها، فقال لها: **«أين الله؟»** قالت: في السماء. قال: **«من أنا؟»** قالت: أنت رسول الله. قال: **«أعتقها؛ فإنها مؤمنة»**، فأقر النبي ﷺ قولها، وبعض المتصوفة والضلال إذا سألته: أين الله؟ يعض أصبعه، ويقول: أستغفر الله، ما يصلح، ولا يجوز هذا السؤال؟!

وهذا سؤال مشروعٌ؛ فقد سأل النبي ﷺ تلك الجارية رضي الله عنها.

٢) ومن تلك الأدلة: أن النبي ﷺ أتي ببعض ذهيبة فقسمها بين بعض أصحابه، فعتب بعضهم لماذا لم يعطهم؟ قال: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء»**، وهو في "الصحيحين".

٣) ومن تلك الأدلة: حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: **«إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يرفع القسط ويخفضه، ويرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل»**.

٤) ومن تلك الأدلة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«يتعاقب فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ثم يعرج الذين باتوا فيكم** -العروج من أسفل إلى

أعلى- فيسألهم ربهم: **كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»**، شاهدنا: **«ثم يعرج الذين باتوا»**.

٥) ومن تلك الأدلة: حديث أن النبي ﷺ خطبهم يوم عرفة، ثم في آخر الخطبة قال: **«ألا هل بلغت؟»** قالوا: نعم، قال: **«اللهم فاشهد»**، من قوله ومن فعله ومن تقريره: **«اللهم فاشهد»**، فرفع إصبعه إلى السماء ونكتها إلى الأرض ويقول: **«اللهم فاشهد»**.

٦) ومن تلك الأدلة أيضًا: قول النبي ﷺ: **«ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»**، وهذا الحديث يصلح الحديث مع الذي في الباب.

٧) ومن تلك الأدلة أيضًا: أن النبي ﷺ قال: **«إن الله حيي كريم يستحيي من أحدكم إذا رفع يديه أن يردهما صفرًا»**.

أما أدلة الفطرة:

فمن أدلة الفطرة التي جعلها في عباده أنه إذا أراد إنسانٌ من الناس أن يدعو الله رفع يديه إلى السماء، وقد فعل ذلك النبي ﷺ في صلاة الاستسقاء، وفعل ذلك في يوم بدر رفع يديه حتى سقط رداؤه من على كتفه، وجاء أبو بكر رضي الله عنه ووضع رداءه على كتفه، وقال: كفاك مناشدة لربك يا رسول الله، إن الله منجز لك ما وعدك.

ومن تلك الأدلة أيضًا: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه فيبيت ساخطًا عليها إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها»**، شاهدنا من الحديث: **«إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها»**.

والمبتدعة يؤولون هذه الأدلة، يقولون: إن هذه الأدلة كلها المقصود منها علو قهر، أو المقصود علو قدر، ليس المقصود علو ذات، وهذه الأدلة تدل على علو القدر، وعلو

القدر علو الذات، علو الذات من الأدلة الكثيرة، وعلو القهر: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٨]، عبر بعضهم أيضًا بكلمة علو القدر، لكن نحن نقول: أيضًا الأدلة تدل على الأمرين، وتلك قد ذكرها بعض أهل العلم، وقالوا: إن الأدلة تشمل له العلو المطلق سبحانه وتعالى، وإنما تدل الأدلة على علو القهر: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾، وكذلك على علو الذات.

وأخذوا أيضًا مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤]، وقوله سبحانه: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة:٧]، وردوا بهذه الأدلة الكثيرة الدالة على علو الله على عرشه، وليس هذا بصحيح، الآيات مذكور قبلها العلم وبعدها العلم، يدل على أن الله سبحانه وتعالى معنا بعلمه وإحاطته، فالمعية تكون خاصة وتكون عامة: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه:٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨] هذه معية خاصة، بعضهم يزيد هي خاصة الخاصة في حق موسى وهارون، ومعية عامة في آية الحديد وفي آية المجادلة: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد:٤].

وهذه الأدلة تدل أن الله سبحانه وتعالى قريبٌ منا؛ فهو معنا بعلمه وإحاطته؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦].

وفي "مسند الإمام أحمد" عَن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَجَعَلْنَا لَا نَصْعَدُ شَرَفًا، وَلَا نَعْلُو شَرَفًا، وَلَا نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلَّا رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ، قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، أَرْبِعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ مَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ**».

فلا تتعارض أدلة المعية مع أدلة علو الله سبحانه وتعالى على عرشه، مع أدلة النزول، كلها أدلة محكمة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ يثبتها أهل السنة ويؤمنون بها، كما أننا نثبت استواء الله سبحانه وتعالى على عرشه، ولا نقول: كيف استوى؟ ما يجوز هذا، كذلك نثبت نزول الله سبحانه وتعالى ولا نقول: كيف ينزل.

وحديث: أن سمرة رضي الله عنه ذكر أن النبي ﷺ وأصحابه أكلوا من صحفة واحدة من مائدة واحدة من صباح إلى مساء، يطعمهم عشرةً، عشرة، قالوا: من أين كانت تمد؟ قال: ما كانت تمد إلا من هاهنا. وأشار إلى السماء.

نظير ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات:٥٨].

الذين قالوا بأن الله ليس في السماء، واستدلوا بالآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف:٨٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣] ولا حجة لهم في ذلك؛ لأن المعنى: أنه مألوه في السماء ومألوه في الأرض، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾، فالآية من أدلة علم الله؛ بدليل قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:٣]، ولا تعارض بين هذه الأدلة.

قال بعضهم عندما قالوا له: إلى أين ترفع يديك إذا دعوت الله عز وجل؟ قال: إلى السماء. قيل له: لأن فطرتك تقر أن الله في السماء، ترفع يديك إلى السماء، إلى الله سبحانه. قال: لأن السماء قبلة دعاءنا، أرفع يدي إلى قبلة الدعاء.

والجواب: أولًا الاستدلال بحديث: «السماء قبلة الدعاء»، هذا حديث لم يثبت.

قال الألوسي رحمه الله في "روح المعاني" تفسير [آية: ١٨] من سورة الأنعام: ولا يخفى أن هذا باطل، أما أولًا: فلأن (السماء قبلة الدعاء) لم يقله أحدٌ من سلف الأمة، ولا أنزل

الله تعالى به من سلطان، والذي صح أن قبلة الدعاء هي قبلة الصلاة.

إلى أن قال: فمن قال: (إن للدعاء قبلة غير قبلة الصلاة)؛ فقد ابتدع في الدين، وخالف جماعة المسلمين.

إلى آخر ما ذكره في هذا الموضع، وانظر "شرح الطحاوية" طبعة المكتب الإسلامي (ص ٣٢٧).

ومادام أنه لم يثبت؛ فقبلة الدعاء قبلة الصلاة، والدليل: أن النبي ﷺ استقبل القبلة حين دعا عند الصفا، وعند المروة، وعند الجمرتين، وغير ذلك، كان يستقبل القبلة ويدعو، وقد ذكرنا بعض هذا مجملًا.

فالذي يدعو يستقبل قبلة الصلاة، ولو كانت قبلة الدعاء السماء؛ لاحتاج الإنسان إذا أراد أن يدعو إن يستلقي على ظهره، أو يرفع وجهه إلى السماء حتى يستقبل القبلة، وهذا لم يفعله رسول الله ﷺ.

وأقوى الأدلة على أن الله في السماء من السنة:

أحاديث المعراج؛ فإن النبي ﷺ عُرج به إلى السماء، وأُوحي إليه ما أوحي، وأمره الله بخمس صلوات في اليوم والليلة.

يستدل هؤلاء الضلال الذين ينفون استواء الله على عرشه على المعنى الصحيح بقول قائلهم:

قد استوى بشر على العراق ... من غير سيف أو دم مهراق

قالوا: معنى (استوى)، أي: استولى.

وهذا باطل؛ لأن معنى الاستيلاء يأتي بعد مغالبة، وكأن هناك من غالب الله عز وجل، والله غلبه حتى استوى على العرش، تعالى الله عما يقولون!

فهذا المعنى فاسد؛ ولهذا سمي أهل الهوى بهذا الاسم؛ لأنهم يهوون فيه، ثم قد يجرهم إلى أن يهوون في النار، ثبت أن النبي ﷺ قال: **«سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الْأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ»**.

وقيل: سموا بهذا لأنهم يهوون في الضلال، أما من كان كافرًا ومات على كفره يقال: يهوي في النار جزمًا، وأما من لم يكن كافرًا لا يقال هذا في حقه أنه يهوي في النار، ولكن يقال: يستحق بذلك أن يهوي في النار، إلا أن يعفوا الله عنه؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء:٤٨]، أما من مات على الكفر فهو إلى النار جزمًا؛ لقول الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**﴾ [فاطر:٣٦]، وأدلة كثيرة في هذا الباب.

وقوله: بغير كيف ينزل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٥/ ٤٠٦): فَإِنْ قَالَ لَنَا: كَيْفَ النُّزُولُ مِنْهُ جَلَّ وَعَزَّ؟ قُلْنَا: لَا نَحْكُمُ عَلَى النُّزُولِ مِنْهُ بِشَيْءٍ؛ وَلَكِنَّا نُبَيِّنُ كَيْفَ النُّزُولُ مِنَّا وَمَا تَحْتَمِلُهُ اللُّغَةُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ، وَالنُّزُولُ مِنَّا يَكُونُ بِمَعْنَيَيْنِ: **أَحَدُهُمَا**: الِانْتِقَالُ مِنْ مَكَانٍ إلَى مَكَانٍ، كَنُزُولِك مِنْ الْجَبَلِ إلَى الْحَضِيضِ، وَمِنْ السَّطْحِ إلَى الدَّارِ. **وَالْمَعْنَى الْآخَرُ**: إقْبَالُك إلَى الشَّيْءِ بِالْإِرَادَةِ وَالنِّيَّةِ. كَذَلِكَ الْهُبُوطُ وَالِارْتِفَاعُ، وَالْبُلُوغُ وَالْمَصِيرُ، وَأَشْبَاهُ هَذَا مِنْ الْكَلَامِ.اهـ

وأحاديث النزول، قال الذهبي رحمه الله في "العلو" (ص١٠٠): وقد ألفت أحاديث النزول في جزء وذلك متواتر أقطع به، وقد حرف أهل البدع صفة النزول، فقالوا: ينزل أمره، أو بعض ملائكته.

قال ابن عبد البر رحمه الله في "التمهيد" (٧/ ١٤٣): وأما قوله ﷺ في هذا الحديث: «ينزل

تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا» فقد أكثر الناس التنازع فيه، والذي عليه جمهور أئمة أهل السنة أنهم يقولون: ينزل كما قال رسول الله ﷺ. ويصدقون بهذا الحديث، ولا يكيفون، والقول في كيفية النزول كالقول في كيفية الاستواء والمجيء، والحجة في ذلك واحدة، وقد قال قوم من أهل الأثر أيضًا: إنه ينزل أمره وتنزل رحمته، وروي ذلك عن حبيب كاتب مالك وغيره، وأنكره منهم آخرون، وقالوا: هذا ليس بشيء؛ لأن أمره ورحمته لا يزالان ينزلان أبدًا في الليل والنهار، وتعالى الملك الجبار الذي إذا أراد أمرًا قال له كن فيكون في أي وقت شاء، ويختص برحمته من يشاء، متى شاء، لا إله إلا هو الكبير المتعال.

وقد روى محمد بن علي الجبلي وكان من ثقات المسلمين بالقيروان، قال: حدثنا جامع بن سوادة بمصر، قال: حدثنا مطرف، عن مالك بن أنس أنه سئل عن الحديث **«إن الله ينزل في الليل إلى سماء الدنيا»**؟ فقال مالك: يتنزل أمره.

قال شيخ الإسلام رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (١٦/ ٤٠٥): وكذلك نقل عن مالك رواية أنه تأول **«ينزل إلى السماء الدنيا»** أنه ينزل أمره؛ لكن هذا من رواية حبيب كاتبه، وهو كذاب باتفاقهم، وقد رويت من وجه آخر لكن الإسناد مجهول.اهـ

قلت: المجهول فيه هو: جامع بن سواده.

قال الدارمي رحمه الله في "نقض الدارمي" (١/ ٢١٤): فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته، وهو على العرش بكل مكان من غير زوال؛ لأنه الحي القيوم، والقيوم بزعمه من لا يزول.

فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضًا من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان ولا لمذهبه برهان؛ لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعةٍ ووقتٍ وأوان، فما بال النبي ﷺ يحد لنزوله الليل دون النهار، ويوقت من الليل شطره أو الأسحار، أفبأمره ورحمته

يدعو العباد إلى الاستغفار، أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا: هل من داع فأجيب، هل من مستغفر فأغفر له، هل من سائل فأعطي. فإن قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر اللذين يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما دون الله، هذا محال عند السفهاء فكيف عند الفقهاء!!، وقد علمتم ذلك، ولكن تكابرون، وقد علمتم إن شاء الله أن هذا التأويل أبطل باطل لا يقبله إلا كل جاهل.اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وأُقِرُّ بالميزانِ والحوضِ الذي أرجو بأنّي منهُ ريّاً أَنْهَلُ

الميزان ينبغي أن يستحضر الإنسان الموقف عنده؛ لقول الله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة:٧-٨].

وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٢-١٠٤].

وقال عزَّوجل: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف:٨-٩]، ﴿ٱلْقَارِعَةُ * مَا ٱلْقَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة:١:٥]، فالعهن هو الصوف، فالجبال تكون مثل العهن المنفوش.

في ذلك الموضع في يوم القارعة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ * فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ [القارعة:٦-١١]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٥].

كل هذه الأدلة من القرآن تدل على إثبات الميزان.

والميزان بكف الرحمن كما في "الصحيح": «**والميزان بكف الرحمن يخفض القسط ويرفعه**»، والميزان له كفتان كما في حديث البطاقة، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: «**...، فيقرر بذنوبه فيقر بها، يقال: هل لك من حسنة اليوم؟ فيقول: لا. فيقول: هل ظلمك كتبتي؟ فيقول: لا. قال: فتخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع في كفة الحسنات وتوضع سيئاته في كفة السيئات، فتطيش تلك البطاقة بكفة السيئات**» جاءت زيادة: «**ولا يثقل مع اسم الله شيء**»، فالحديث يدل على أن للميزان كفة للحسنات وكفة للسيئات.

والميزان مما يثقل به ذكر الله سبحانه وتعالى، كما روى الإمام مسلم في "صحيحه" من حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه وهو صحيح، وثابت خارج "الصحيحين"، وقد انتقد في "صحيح مسلم" بالانقطاع.

ومما يثقل به الميزان: الخلق الحسن، فقد جاء من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ما من شيء أثقل في ميزان العبد يوم القيامة من خلق حسن**».

والذكر، واحتساب موت الأولاد منه؛ لحديث أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ، قال النبي ﷺ: «**بخ، بخ، وما أثقلهن في الميزان: سبحان الله وبحمده ولا إله إلا الله والله أكبر والولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه**»، الولد الصالح يتوفى للمرء فيحتسبه، هذا يشمل الصغير والكبير أيضًا، ولد صالح ولو كان كبيرًا.

ومن الأدلة على ثبوت الميزان: حديث ابن مسعود رضي الله عنه: أنه كان على شجرة يأخذ منها سواكا عود الأراك، فكانت الريح تكفأه هكذا وهكذا، فضحك أصحاب النبي ﷺ من دِقَّة ساقية، قال: «**مم تضحكون، من دقة ساقيه؟ لساقه في الميزان مثل أحد**».

ومن الأدلة أيضًا: حديث أنس رضي الله عنه: يا رسول الله، اشفع لي، أين ألقاك يوم القيامة؟

قال: «**تلقاني عند الصراط**»، قال: فإن لم أجدك؟ قال: «**فعند الحوض**»، قال: فإن لم أجدك؟ قال: «**فعند الميزان، ولا أخطئ هذه المواطن**».

فمن هذه الأدلة يتبين أن الميزان على الصحيح: ميزانٌ واحد كما في حديث البطاقة، وحديث أنس ﷺ، وسائر الأحاديث، وما جاء من الأدلة: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ**﴾ [الأنبياء:٤٧]، ﴿**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ**﴾ [الأعراف:٨].. إلخ، المقصود بها الموزونات، وإلا فهو ميزان واحد توزن به الأعمال، وما جاء من هذه الأدلة أنها موازين متعددة المقصود بها الموزونات، هذا هو الصحيح، وهو بكف الرحمن.

وهذه الأدلة تدل على أن العامل والمعمول، وصحائف الأعمال توزن كلها، حديث البطاقة يدل على أن الصحيح أن الأعمال توزن، وحديث: «**إن الرجل السمين البطين لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وكذلك الحديث الذي جاء فيه ذكر ساق ابن مسعود ﷺ يدل أن العامل يوزن، وحديث صحائف الأعمال يوزن، العامل والعمل، وكذلك في الآية: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾ [الزلزلة:٧-٨].

فلا مانع من وزنها كلها، وهذا الذي تجتمع به الأدلة: أن العامل، والعمل، وصحائف الأعمال كلها توزن.

قال ابن كثير رحمه الله في "تفسيره" (٢/ ٢٠٣): وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم.اهـ

والميزان يوم القيامة حقيقي وليس بمجاز، كما قال ذلك المعتزلة، وأن المقصود به العدل عندهم.

قال الحافظ رحمه الله في "الفتح" (١٣/ ٥٣٨): قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل

السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل. فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثلة؛ ليكونوا على أنفسهم شاهدين.اهـ

سؤال: هل توزن أعمال الكفار؟ وما الجمع بين قول الله: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف:١٠٥]، وحديث «**إن الرجل السمين البطين..**»؟

الجواب: قيل: تقام عليهم الحجة فتوزن أعمالهم، ويتبين لهم أنه لا عمل لهم يوزن. وقيل: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾: ما لهم قدر، ولا لهم ميزان عند الله عز وجل، ولا لهم شرف، وما توزن أعمالهم وإنما يقررون وتعد عليهم وتحصى؛ لقول الله عزوجل: ﴿**فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾ [الكهف:١٠٥]، ولقوله سبحانه: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ [الفرقان:٢٣]، من إكرام الضيف، ومن النجدة، ومن الذي يقومون به من حسن خلق، بعضهم تجد عنده هذا، هذا كله محبوط؛ لقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:٨٨].

وقوله ﷺ: «**إذا عمل الكافرُ حسنةً أطعم بها طعمة من الدنيا**»، ليس له عمل يوزن، وإنما يقرر ويعد عمله ويحصى عليه.

أما أعمالهم فالأدلة تدل على عدم وزنها، وتأملوا في هذا، أقصد من حيث الأدلة ﴿**فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ**﴾ [الكهف:١٠٥]، ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا**﴾ [الفرقان:٢٣]، «**إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا**»، معناه: ما لهم ﴿**وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:٨٨]، ليس معهم شيء من الأعمال فكلها محبوطة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كما في "مجموع الفتاوى" (٣/ ١٤٦): وأما الكفار

فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها ويجزون بها.اهـ

فائدة: ميزان الآخرة ليس كميزان الدنيا، فالميزان في الدنيا قد لا يضبط في الوزن، أما ميزان الآخرة يزن مثاقيل الذر؛ لقوله تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾ [الزلزلة:٧-٨].

قوله: والحَوضِ.

الفقرة الثانية فيما يتعلق بالحوض، قال ابن منظور في "لسان العرب" (٧/ ١٤١): والحوض مجتمع الماء معروف، والجمع أحواض وحياض وحوض الرسول ﷺ الذي يسقي منه أمته يوم القيامة.

وقد ثبتت فيه أدلة من القرآن والسنة، أما من القرآن فقول الله عز وجل: ﴿**إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ**﴾ [الكوثر:١-٣].

وأما من السنة حديث: قام النبي ﷺ من نومه متبسمًا، قالوا: ما لك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت عليَّ سورة**» فقرأها، وقال: «**هو الكوثر الذي وعدنيه**»، أو قال: «**الحوض الذي أعطانيه ربي**».

وفي حديث ثوبان رضي الله عنه في "صحيح مسلم" ما يدل أيضًا على هذا: «**إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم**»، فسئل عن عرضه؟ فقال: «**من مقامي إلى عمان**»، وسئل عن شرابه؟ فقال: «**أشد بياضًا مُن اللبن، وأحلى من العسل، يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما: من ذهب، والآخر من ورق**».

الحوض في عرصات القيامة، والكوثر في الجنة، وهذه أمور الآخرة تبقى على ما دل عليها الدليل، وما يقال: كيف تمر؟ ومن أين تأتي؟ الله أعلم، أمرٌ يعلمه الله، هذا الذي

دل عليه الدليل: أن ميزابين من الكوثر من الجنة يصبان في الحوض في عرصات القيامة، ولا دليل على إثبات حوضين.

والحوض أدلته كثيرة متواترة، ومن تلك الأدلة:

۞ حديث أنس، وحديث ابن مسعود، وحديث أبي هريرة، وحديث الصنابحي، وحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهم معانيها متقاربة، حديث الصنابحي رضي الله عنه: **«إني فرطكم على الحوض فلا تقتتلن بعدي»**.

وقوله صلى الله عليه وسلم: **«أني فرطكم على الحوض»**، قيل: إن الفرط هو الذي يتقدم فيصلح الحياض، يجمع فيها الماء، ويصلح فيها الماء، وليس معناه أنه ما كان الحوض موجودًا إلا حين وجد النبي صلى الله عليه وسلم، أو حين تقدم النبي صلى الله عليه وسلم، لا، الحوض موجود الآن، هو فرط على الحوض، والحوض موجود وهو يتقدم عليه: **«إني لبعقر حوضي أذود الناس حتى يرد أهل اليمن»**.

۞ وحديث كعب بن عجرة، وجاء عن جابر رضي الله عنهما: «**يكون عليكم أمراء...**»، ذكر الحديث وقال فيه: **«...، ومن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم؛ فليس مني ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم؛ فهو مني وأنا منه، وسيرد علي الحوض»**.

۞ وحديث أنس رضي الله عنه الذي تذاكرناه في الميزان: أين ألقاك يا رسول الله؟ قال: **«تلقاني عند الصراط، عند الميزان، عند الحوض، ولا أخطئ هذه الثلاثة المواضع»**.

۞ وحديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي»**، يدل أن الحوض موجود من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو موجود الآن.

وحديث ثوبان رضي الله عنه في "صحيح مسلم" منقبة لأهل اليمن، لكن منقبة للمستقيم،

منقبة لمن لم يغير ولم يبدل، أما من غير وبدل فحديث أنس بن مالك وحديث ابن مسعود رضي الله عنهما، وأحاديث كثيرة تدل أنه لا يرد الحوض: **«سحقًا سحقًا، بعدًا بعدًا، إنهم غيروا وبدلوا»**.

وجاء في هذه الأحاديث أن منهم من غيَّر وبدَّل، وارتَدَّ على عقبه، كما جاء من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في "صحيح البخاري"، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: **«...، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب، أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك. فأقول كما قال العبد الصالح ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»**.

فهذا في حق أهل الردة، ولا يقدح في أصحابي النبي صلى الله عليه وسلم الذين لم يرتدوا، وإنما في الذين ارتدوا يذادون: **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أعقابهم، انقلبوا على أعقابهم»** حديث عقبة رضي الله عنه.

وكذلك جاء عن أنس رضي الله عنه في القدرية: القدرية لا يردون الحوض ولا يدخلون الجنة.

أما من كان ينكر العلم منهم فقد أنكر ما ثبتت به الأدلة من القرآن والسنة، الإمام الشافعي يقول: حاجوهم بالعلم، فمن أنكر علم الله فقد كفر.

هذه الأدلة في رد أهل البدع عن الحوض كافية لمن يخاف على نفسه؛ الناس يقومون من قبورهم عطاشًا، في غاية من العطش، ويذاد عن الحوض بسبب بدعة، وبسبب حزبية؛ فإني والله أخشى على أبي الحسن وأصحابه أن يُذَادُوا عن الحوض، صحيح مبتدعة، أخشى عليهم أن يُذَادُوا عن الحوض إن بقوا على هذا الحال المتردي؛ لأنها طريقة انحراف وفتنة، والله المستعان، **«إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**.

قال القرطبي رحمه الله في "تفسيره" (٤/ ١٦٨): فمن بدل، أو غيَّر، أو ابتدع في دين الله

مالا يرضاه الله ولم يأذن به الله؛ فهو من المطرودين عن الحوض، المبتدعين منه، المسوَدِّي الوجوه، وأشدهم طردًا وإبعادًا من خالف جماعة المسلمين، وفارق سبيلهم؛ كالخوارج على اختلاف فرقها، والرُوافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدلون ومبتدعون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم، وطمس الحق، وقتل أهله، وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر، المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ، والأهواء، والبدع، كل يخاف عليهم أن يكونوا عنوا بالآية والخبر.اهـ

وكذا قال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللهُ في "التمهيد" (٢٠/ ٢٦٢).

وقد جاء في صفة الحوض: «**طوله شهر، وعرضه شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب من المسك، من شرب منه شربة واحدة لم يظمأ بعدها أبدًا**»، عبيد الله بن زياد كان ينكر الحوض، فأخبر أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بذلك، فقال: العجائز إذا صلين في زمن النبي ﷺ يقلن: اللهم أوردنا حوضك نبيك.

❖ **ومما يتعلق بالحوض هل يرده الرجال والنساء، والجن والإنس من المؤمنين؟**

نعم، يرده الرجال والنساء، والجن والإنس من المؤمنين، يقومون من قبورهم ويردون الحوض، هو شامل لكل من كان مؤمنًا ولم يغير ولم يبدل، أما من غير وبدل يقال له: «**سحقًا سحقًا، بعدًا، بعدًا لمن غير وبدل**».

قوله: أَرجو بأنِّي مِنْهُ رَيًّا أَنْهَلُ.

وكلنا نرجو من الله سبحانه وتعالى ذلك.

والرجاء مصدر قولهم: رجوت فلانًا أرجوه، وهو مأخوذ من مادة (ر ج و) والتي تدل على الأمل الذي هو نقيض اليأس، ممدود، يقال: رجوت فلانًا رجوًا، ورجاءً

ورجاوةً. ويقال: ما أتيتك إلا رجاوة الخير، وترجيته، ترجية بمعنى رجوته.

قال بشر يخاطب ابنته:

فرجـــي الخـــير وانتظـــري إيـــابي		إذا مـــا القـــارض العنـــزي آبـــا

وقيل: الأمل أكبر من الرجاء؛ لأن الرجاء معه خوف.

قال في "اللسان": وقد يكون الرجو، والرجاء بمعنى الخوف؛ قال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، أي: تخافون عظمة الله.

قال أبو ذؤيب:

إذا لـــسعته النحـــل لم يـــرج لـــسعها		وخالفهـــا في بيـــت نـــوب عواســـل

قال الراغب: ووجه ذلك أن الرجاء والخوف يتلازمان، قال تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]، وقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة:١٠٦]، ويقال: أرجت الناقة: دنا نتاجها، وحقيقته: جعلت لصاحبها رجاء في نفسها بقرب نتاجها.

الرجاء اصطلاحًا: تأملُ الخير وقرب وقوعه، وفي "الرسالة القشيرية": الرجاء تعليق القلب بمحبوب في المستقبل.

قال ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين": الرجاء هو النظر إلى سعة رحمة الله. وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه. وقيل: هو الثقة بجود الرب تعالى.اهـ

وقال المناوي: الرجاء ترقب الانتفاع بما تقدم له له سبب ما، والفرق بينه وبين التمني: أن التمني يكون مع الكسل، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد، والرجاء على الضد من ذلك، ومن الوجهة اللغوية؛ فإن أداة الرجاء (لعل) وأداة التمني (ليت)، كما أن

الرجاء يفيد إمكان الوقوع، بخلاف التمني الذي يفيد تعذر الوقوع واستحالته.اهـ

وقد ورد الرّجاءُ في القرآن على ستَّة أوجه:

أَوَّلها: بمعنى الخوف: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، أي: ما لكم لا تخافون. ومنه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ:٢٧]، وقوله: ﴿مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ﴾ [العنكبوت:٥].

الثاني: بمعنى الطمع: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ [الإسراء:٥٧]، ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ [البقرة:٢١٨].

الثالث: بمعنى توقُّع الثواب: ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩].

الرَّابع: الرّجا المقصور بمعنى الطَّرَف: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة:١٧].

الخامس: الرّجاء المهموز: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾[الأعراف:١١١]، أي: احبسه.

السَّادس: بمعنى التَّرك والتأخير: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب:٥١]، أي: تؤَخّر، ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة:١٠٦].

حقيقة الرجاء:

قال ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين" (١/ ٤٣-٤٤): الرجاء هو عبودية وتعلق بالله من حيث اسمه: المحسن، البر، فذلك التعلق والتعبد بهذا الاسم، والمعرفة بالله هو الذي أوجب للعبد الرجاء من حيث يدري ومن حيث لا يدري، فقوة الرجاء على حسب قوة المعرفة بالله وأسمائه وصفاته، وغلبة رحمته غضبه، ولولا روح الرجاء؛ لعطلت عبودية القلب والجوارح، وهدمت صوامع، وبيع، وصلوات، ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرًا، بل لولا روح الرجاء لما تحركت الجوارح بالطاعة، ولولا ريحه الطيبة لما جرت سفن الأعمال في بحر الإرادات، ولي من الأبيات:

لـولا التعلـق بالرجـاء تقطعـت — نفـس المحـب تحـسرا وتمزقـا
لـولا الرجـا يحـدو المطـي لمـا سرت — بحمولهـا لـديارهم ترجـو اللقـا

فتأمل هذا الموضع حق التأمل، يطلعك على أسرار عظيمة من أسرار العبودية والمحبة؛ فكل محبة فهي مصحوبة بالخوف والرجاء، وعلى قدر تمكنها من قلب المحب يشتد خوفه ورجاؤه، لكن خوف المحب لا يصحبه وحشه، بخلاف خوف المسيء، ورجاء المحب لا يصحبه علة، بخلاف رجاء الأجير، وأين رجاء المحب من رجاء الأجير وبينهما كما بين حاليهما؟!.اهـ

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في "الفتح" (١١/ ٣٠١): وَالْـمَقْصُود مِنْ الرَّجَاء أَنَّ مَنْ وَقَعَ مِنْهُ تَقْصِير فَلْيُحْسِنْ ظَنَّهُ بِالله، وَيَرْجُو أَنْ يَمْحُوَ عَنْهُ ذَنْبَهُ، وَكَذَا مَنْ وَقَعَ مِنْهُ طَاعَة يَرْجُو قَبُولهَا، وَأَمَّا مَنْ اِنْهَمَكَ عَلَى الْـمَعْصِيَة رَاجِيًا عَدَم الْـمُؤَاخَذَة بِغَيْرِ نَدَمٍ وَلَا إِقْلَاعٍ فَهَذَا فِي غُرُور، وَمَا أَحْسَن قَوْل أَبِي عُثْمَان الْجِيزِيّ: مِنْ عَلَامَة السَّعَادَة أَنْ تُطِيع، وَتَخَاف أَنْ لَا تُقْبَل. وَمِنْ عَلَامَة الشَّقَاء أَنْ تَعْصِي، وَتَرْجُو أَنْ تَنْجُوَ.اهـ

فالرجاء يكون لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء:١٠٤].

وقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء:٥٧].

ويجوز أن يرجى الشخص فيما هو في مقدوره؛ لحديث: «لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، -أَوْ قَالَ: يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ- يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ»، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ.

وثبت من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وَقَفَ عَلَى أُنَاسٍ جُلُوسٍ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟» قَالَ: فَسَكَتُوا. فَقَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: بَلَى

يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْنَا بِخَيْرِنَا مِنْ شَرِّنَا. قَالَ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَى خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ**».

قولهؒ: ريًّا.

قال ابن منظور رَحِمَهُ الله في "لسان العرب" (١٤/ ٣٤٥) الريان ضد العطشان.

وقولهؒ: أنهل.

قال ابن منظور في "لسان العرب" (١١/ ٦٨٠): النهل أول الشرب تقول: أنهلت الإبل، وهو أول سقيها، ونهلتْ هي إذا شربت في أول الورد. و النهل: الري، والعطش ضده، والفعل كالفعل، والمنهل المشرب، ثم كثر ذلك حتى سميت منازل السفار على المياه مناهل، وفي حديث الدجال: أنه يرد كل منهل، وقال ثعلب: المنهل الموضع الذي فيه المشرب، و المنهل الشرب.اهـ

فائدة: قوله في الحديث: «**لا يظمأ بعدها**»، الشرب في الجنة يدل على التنعم؛ لا لأنه عطشان في الجنة، قال تعالى: ﴿**لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ**﴾ [الأعراف:٤٩]، وليس فيها تعب، وليس فيها لغوب: ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ [فصلت:٣١].

وليس فيها أنهم يجوعون: «**إن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا**»، العطش من البؤس، فالذين يدخلون الجنة ليس المقصود أنهم يشربون من الجنة، أو يأكلون من ثمارها عن جوع أو عن عطش، وإنما للتنعم؛ لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ**﴾ [طه:١١٨-١١٩].

السؤال: ما هو توجيه هذا الحديث: «**ومنبري على حوضي**»؟

الجواب: يعني يوم القيامة، وقد نقل هذا البغوي والحافظ وغيره من الشراح: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، منبري على حوضي**»، وأن من صلى في ذلك الموضع فهو يرد الحوض، والمقصود من داوم على ذلك ومات على التوحيد، هذا قول، وقيل: على حقيقته. والله أعلم.

السؤال: أحلى من العسل، وماؤه أبرد من الثلج، فلو شرب الإنسان ثلجًا هل يشعر بألم، أو يشعر بتنعم؟

الجواب: إن كان على ما في الدنيا؛ فإنه يتأذى، وأما في الآخرة فيعتبر نعيمًا وأمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا، والناس في حياتهم الدنيا ضعاف الأجسام لا يتحملون.

السؤال: هل يرد الحوض المبتدعة أم يدفعون ويطردون، وماذا عن الكفار؟

الجواب: الكفار والمبتدعة يطردون عن الحوض.

السؤال: «**لكل نبي حوض، وأرجو أن أكون أكثرهم واردًا**»، ما حال هذا الحديث؟

الجواب: ضعيف، جاء مرسلًا عن الحسن وبنحوه من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، فيه: عطية العوفي.

السؤال: «**من شرب شربة منه لم يظمأ بعدها أبدًا**»، مفهوم هذا الحديث أن من لم يشربه أنه سيظمأ أبدًا، فهناك مبتدعة يردون ويصدون، هل يخلدون في النار يظمئون أبدًا؛ لأن من يدخل الجنة ما يظمأ.

الجواب: قد يذادون عن الحوض، ويمحصون ببدعتهم التي دون الكفر إن شاء الله ذلك، ثم مآلهم إلى الجنة كسائر أهل الكبائر؛ لقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ**﴾ [النساء:٤٨]، وأما من بلغت بدعته الكفر ومات عليها فيخلد في

النار؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر:٤٨].

السؤال: حديث: «فيردوا أناسًا، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقولون: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم غيروا وبدلوا» -وفي رواية: «ارتدوا على أعقابهم»، فالرافضة احتجوا بمثل هذا الحديث وما هم عند هذه الأحاديث من حيث الاحتجاج بأحاديث السنن والصحاح، فقالوا -لكنهم ظنوها حجة لهم-: إن الصحابة غيروا وبدلوا، فما المقصود بـ«غيروا وبدلوا»؟

الجواب: المقصود به الذين ارتدوا من أهل الردة الذين كثير منهم كان في حياة رسول الله ﷺ منافقًا يظهر الإسلام ويبطن الكفر، فلما مات رسول الله ﷺ أظهروا الكفر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

وكــذا الــصِّراطُ يُمَــدُّ فــوقَ جَهَــنَّمٍ   فَمُــسَلَّمٌ نَــاجٍ وآخَــرَ مُهْمَــلُ

الصراط: تقدم بيانه قريبًا أنه بعد الحوض وبعد الميزان، وحديث أنس رضي الله عنه لا يقتضي أنه بعد كما سبق حديث النضر بن أنس بن مالك عن أبيه، قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يشفع لي يوم القيامة. فقال: «**أنا فاعل**» قال: قلت يا رسول الله فأين أطلبك؟ قال: «**اطلبني أول ما تطلبني على الصراط**»، قال قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**»، قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فاطلبني عند الحوض؛ فإني لا أخطئ هذه الثلاث المواطن**».

فليس المقصود أن الترتيب في هذا الحديث لازم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في "النهاية" (١/ ص٣٦): إن الحوض قبل الصراط، قال: وظاهر هذا الحديث يقتضي أن الحوض بعد الصراط، وكذلك الميزان، وهذا لا أعلم به قائلًا، اللهم إلا أن يكون يراد بهذا الحوض حوض آخر يكون بعد الجواز على الصراط كما جاء في بعض الأحاديث، ويكون ذلك حوضًا ثانيًا لا يذاد عنه أحد، والله سبحانه وتعالى أعلم.اهـ

قوله: فَمُسَلَّمٌ نَاجٍ وآخَرَ مُهْمَلُ.

وقد ثبت في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**يقوم المؤمنون يوم القيامة حتى تزلف لهم الجنة ويأتون آدم يقولون: استفتح لهم الجنة، فيقول: لست بصاحب ذاك ائتوا ابني خليل الله إبراهيم خليل، فيأتون إبراهيم خليل، فيقول: لست بصاحب ذاك إنما كنت خليلًا من وراء وراء، ائتوا موسى الذي كلمه الله تكليمًا، فيأتون موسى فيقول: لست بصاحب ذاك ائتوا عيسى كلمة الله وروحه، فيأتون عيسى فيقول: لست بصاحب ذاك، ثم يأتون محمدًا** صلى الله عليه وسلم

فيؤذن له فيقوم، وترسل الأمانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط، ويمر الناس على قدر أعمالهم، منهم من يمر كمر البرق، ومنهم من يمر كمر الريح، ومنهم من يمر كمرور الطير وأشد الرجال تجري بهم أعمالهم، ومنهم من يَمر حتى تعجز أعمال العباد، فيمر بعضهم جحشًا، وعلى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بخطف من أمرت بخطفه فمسلم ناج ومكردس في النار»، قال أبو هريرة ﷺ: والذي نفسي بيده، لقعر جهنم سبعون خريفًا.

وهذا الحديث يدل على ثبوت الصراط، ويدل على أنه يمر عليه الخلق، منهم من ينجو ومنهم من لا ينجو، وأنهم يمرون على قدر أعمالهم، منهم من يمر كالبرق، ومنهم من يعجز به عمله، ومنهم على الصراط يحبش جحشًا.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أَنَّ نَاسًا فِي زَمَنِ رَسُولِ الله ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ»**. قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ الله. قَالَ: **«مَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ الله سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِى النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ الله. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ الله مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِى النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ الله. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ. مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا**

بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا. قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لاَ نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا- حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ. فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلاَّ أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلاَّ جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ. ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُءُوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «دَحْضٌ مَزِلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُوَيْكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْـمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ. حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْـمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْـمُؤْمِنِينَ للهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ. فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»، الحديث في "صحيح مسلم".

والمنافقون ينطفئ نورهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ * يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد:١٢-١٣].

(انظرونا) هنا، لم تتعد بـ(إلى) ولا بـ(في)، وهي إن تعدت بـ(في) تدل على التفكر: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف:١٨٥].

وإذا تعدت بـ(إلى) أفادت النظر، قال تعالى: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩٩]، وهنا المقصود بها: انتظرونا، قال تعالى: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ * يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد:١٣-١٤].

ففي ذلك اليوم يوضع الصراط، يمد الصراط فوق جهنم ويعبر الناس عليه وهو أدق من الشعرة وأحد من السيف، كما في حديث أبي سعيد ﷺ المتقدم في "الصحيح": **«مدحضة مزلة»**.

وجاء في هذه الأوصاف حديث عائشة ﵂ في "مسند أحمد" فيه ابن لهيعة؛ إلا أن الراوي عنه يحيى بن إسحاق السيلحيني وقد روى عنه قديمًا، وأيضًا جاء من قول أبي سعيد الخدري ﵁ في "صحيح مسلم"، قال أبو سعيد ﵁: بلغني أن الصراط أدق من الشعرة، وأحد من السيف، مدحضة مزلة.

وهذا الصراط بعد أن ينتهي العباد من المرور عليه، من خرج منهم يقفون في قنطرة يقتصون ما بينهم من مظالم، فإذا هذبوا ونقوا دخلوا الجنة، كما في حديث أبي سعيد الخدري ﵁، قال: قال النبي ﷺ: **«إذا خلص المؤمنون من النارِ حُبِسُوا بقنطرة بين الجنةِ والنارِ**

فَيَتَقَاصُّونَ مظالمَ كانتْ بينهم في الدنيا حتى إذا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لهم بدخولِ الجنةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لأحدِهم أهدى لمسكنِهِ في الجنةِ من أحدِكم بمنزلِهِ في الدنيا»، رواه البخاري، وأحمد، وعبد بن حميد، وابن حبان، والحاكم.

وبعد الخروج من الموقف، يخرجون إلى ظلمة كما في حديث عائشة رضي الله عنها: أين يكون الناس بعد الموقف؟ قال النبي ﷺ عندما سئل عن ذلك: **«يكونون في ظلمة»**، ثم بعد ذلك العبور على الصراط بعد تلك الظلمة، وهذا الصراط يعبر عليه المتقون كما يقول ربنا سبحانه: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا**﴾ [مريم:٧١-٧٢]، والظلم المقصود به: الظلم الأكبر، فينجو من ذلك المتقون، أو من شاء الله سبحانه.

فهنيئًا لمن وفقه الله للتقوى، يستفيد نورًا على الصراط، ويعبر على الصراط وعلى قدر عمله، وأول من يجوز الصراط، محمد وأمته كما في "صحيح مسلم": أن النبي ﷺ قال: **«وأول من يجوز الصراط أنا وأمتي، ودعوى الأنبياء يومئذ: اللهم سلِّم، سلِّم»**، كلهم هذه دعوتهم: اللهم سلم، سلم.

ويحمل الحديث على أنه أول من يجوز الأنبياء، مما يدل أنهم يقفون يقولون: «اللهم سلم سلم»، ثم بعد هذا الأنبياء، ثم أمة محمد ﷺ قبل الأمم، وليس المقصود أن أمة محمد قبل الأنبياء مما يدل على هذا قولهم: «اللهم سلم، سلم»، أنهم هناك واقفون ويقولون: «اللهم سلم سلم»، فالأنبياء مقدمون على هذه الأمة، محمد ﷺ وسائر الأنبياء يمرون، ثم هذه الأمة قبل سائر الأمم.

الصراط من حيث اللغة: هو الطريق الواسع، هذا الذي يقتضيه المعنى.

ومن حيث الشرع: هو جسر يضرب على جهنم ما بين الجنة والنار يمر عليه العباد،

من نجا منهم وقف في تلك القنطرة للاقتصاص بين المظالم، ثم بعد ذلك الجنة.

الأدلة التي جاءت في الصراط:

❁ قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

❁ وقوله عز وجل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

❁ وقوله سبحانه: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى:٥٣].

إلى آخر الأدلة التي في الصراط، والمقصود بذلك: الإسلام، والإسلام هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا تعارض بين القول بأنه القرآن والسنة، وبين القول بأنه الإسلام، والإسلام هو السنة، والسنة هي الإسلام، الإسلام، كتاب وسنة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية:٦]، ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

والأدلة تدل على أن الصراط المستقيم المقصود به الإسلام، وأن من تمسك بالإسلام في الدنيا، فهو إن شاء الله من الناجين على الصراط يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

والإنسان قد يقول: كيف المرور على هذا الصراط وهو مدحضة مزلة؟

هذا من أمور الآخرة، إنما يمر الناس في ذلك الصراط على قدر الأعمال لا على قدر الثقل وعدم الثقل، وسعة الممر وعدم سعته، تجري بهم أعمالهم، فذو العمل الحسن يمر

مسرعًا، وذو العمل الذي هو ضعيف يمر يجحش على الصراط، وهكذا!.

سؤال: وهل يمر الكفار على الصراط؟

الجواب: إذا أرادوا المرور عليه يسقطون؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم:٧٢]، وعلى الصراط كلاليب مأمورة بخطف من أمرت به، يتقادعون كالفراش، يريدون المرور عليه فيسقطون، الكفار يسقطون في النار، وأما من كان من أهل التوحيد وسقط في النار، ممن أمرت الكلاليب بأخذه؛ فإن مآله إلى الجنة؛ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، وكما في الأدلة: «**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة**» فالموحد سيخرج من النار يومًا من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه.

سؤال: من الذين أنكروا الصراط؟

الجواب: المعتزلة ومن سار مسارهم، ينكرون صفات الله عز وجل، وينكرون هذه المسائل الغيبية، فهم عقلانيون، أدت بهم عقلانيتهم هذه إلى ضلال بعيد.

السؤال: هل أدلة المرور على الصراط تعتبر من أدلة الترهيب؟

الجواب: نعم، من أدلة الترهيب الذي ما يستحضر مثل هذه الأدلة في المرور على الصراط، والصد عن الحوض، وخفة الميزان، وما إلى ذلك من هذه الأمور المذهلة فيه غفلة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:٢]، أمور عظيمة غفل عنها الناس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

السؤال: ما هو الصراط في اللغة؟

الجواب: الطريق، كما في "القاموس".

سؤال: قوله (وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ)، هل معناه: أن الصراط ليس ممدودًا الآن؟

جواب: ليس ممدودًا الآن، وإنما يضرب الصراط على متن جهنم في ذلك اليوم، فيمر عليه الناس، كما ثبت في بعض الأحاديث المتقدمة في هذا الموضع.

فائدة: أول من يجوز الصراط النبي ﷺ، ثم بقية الأنبياء؛ لقول النبي ﷺ: «**ودعوى الأنبياء يومئذ اللهم سلم، سلم**»، ثم هذه الأمة بعد الأنبياء.

فائدة: جاء في وصف الصراط أنه: أدق من الشعر، وأحد من السيف، هذا من قول أبي سعيد رضي الله عنه، قال: بلغني...، لكن فيه ابن لهيعة، الراوي عنه يحيى بن إسحاق السيلحيني روى عنه قديمًا، وابن لهيعة يصلح في الشواهد، وأقوى ما جاء في وصف الصراط بلفظ: «**مدحضة مزلة**»، كما في حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

فائدة: الصراط بعد الحوض وبعد الميزان، ولا قائل بأن الصراط قبلهما، فالذي يظهر أن حديث أنس رضي الله عنه الذي فيه: أين ألقاك يا رسول الله يوم القيامة؟ ما يلزم منه الترتيب.

فائدة: إذا انتهى الناس من الموقف مباشرة يكونون في ظلمة، كما ثبت ذلك من حديث عائشة وثوبان رضي الله عنهما.

فائدة: الحوض والميزان، جاء حديث فيه الأسود بن درهم عند الإمام أحمد أن الحوض قبل: «**فيخرجون من قبورهم، فيردون على الحوض كأشد واردة**»، إلا أنه ما ثبت، وجماعة يقولون: إن الحوض قبل، ثم بعد ذلك الميزان.

فائدة: يمر الناس على الصراط على قدر أعمالهم، تجري بهم أعمالهم، منهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كمر الطير وأشد الرجال.إلخ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:

والنَّــارُ يَـــصْلاها الـــشَّقيُّ بِحِكْمَـــةٍ وكـــذا التَّقِـــيُّ إلى الجِنَـــانِ سَـــيَدْخُلُ

قوله: والنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ.

بعد أن ذكر الحوض، والميزان، والصراط، إلى آخر ما تقدم بترتيب طيب من حيث الذي يسقط من على الصراط من الكافرين يسقط في النار.

والمقصود بالشقي هنا الكافر، أما الموحد لله تعالى وإن محّص في النار فمآله إلى الجنة؛ فليس بشقي، وحديث النبي ﷺ قال: «**يقال لأهل الجنة حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» هذا بعد خروج الموحدين، وربنا سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ * وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ * ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى:٩-١٣].

ويقول سبحانه: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾ [الليل:١٤-١٧].

ويقول سبحانه: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود:١٠٦-١٠٧].

فدل على أنه يصلاها الأشقى، الذين لا يموتون فيها ولا يحيون هم الأشقياء، أما من كان من أهل التوحيد ومحّص بذنوبه؛ فإنه ليس من أهلها، قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٦-٣٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ * وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ﴾[طه:٧٤-٧٥]، وكما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها»، وبدليل قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧:٧٨]، هم يطلبون الموت، ولكن لا يحصل لهم موت.

ومما يدل على أن أهل التوحيد ليسوا من أهل النار الذين يخلدون فيها، والذين لا يموتون فيها ولا يحيون، وإنما المقصود أنهم يعذبون فيها، وأنهم يخرجون مثل الفحم، وأنهم يوضعون في نهر الحياة، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل.

قال النبي ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها؛ فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيَوْن، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً حتى إذا كانوا فحمًا أُذِنَ بِالشَّفَاعَةِ فجيء بهم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ فَبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أَفِيضُوا عليهم، فَيَنْبُتُونَ نبات الْحِبَّةِ تكون في حَمِيلِ السَّيْلِ»، رواه أحمد، والدارمي، ومسلم، وابن ماجه، وابن خزيمة، وابن حبان عن أبي سعيد رضي الله عنه.

أما الكفار فيقول الله عنهم: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء:٥٦]، قال أهل العلم: تعاد جلودهم؛ ليذوقوا العذاب.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٣٩].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:١٥-١٦].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ * لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ

يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٣].

وقال سبحانه وتعالى مبينًا خزيهم: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٦٣].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٢].

وعذابهم دائم لا ينقطع؛ ولهذا يتمنون أن يستريحوا يومًا واحدًا منها، مما يدل أنه لا يشمل الموحدين، وأن الكفار يمنون الاستراحة يومًا واحدًا من النار، قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [غافر:٤٩-٥٠].

أما أهل التوحيد، فقد قال النبي ﷺ: **«من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة يومًا من الدهر وإن أصابه قبل ذلك ما أصابه»**.

الكفار يوم القيامة في خسارة، وخزي، وإهانة، طعام من نار، وشراب من نار، ولباس من نار، وهم في النار، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ * طَعَامُ الْأَثِيمِ * كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ * كَغَلْيِ الْحَمِيمِ * خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ * ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان:٤٣-٤٩].

وقال تعالى: ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴾ [الصافات:٦٢-٦٨].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ * لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ * فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ * فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ * هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة:٥١-٥٦]، أي: ضيافتهم: ﴿شُرْبَ الْهِيمِ﴾ الإبل التي تصاب بمرض فتشرب ولا تروى.

وقال سبحانه وتعالى مخبرًا عن ظلهم: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ * لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ * وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٤٣-٤٦]، أي: الذنب العظيم.

وقال: ﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ﴾ [ص:٥٥-٥٨]، أي: أنواع العذاب عليهم، قال تعالى: ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ * وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص:٥٧-٦٤] خصام، مع ما تقدم ذكره من العذاب والإهانة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّاغِينَ مَآبًا * لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ:٢١-٢٥]، يملئون بطونهم من ذلك الطعام، لا يسمن ولا يغني من جوع.

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية:١-٦]، قيل: شوك من جهنم: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية:٧]، فكونهم يملئون بطونهم لا يشبعون من ذلك ولا يستفيدون ولا يغنيهم من جوع ولا يسمنون، ولباسهم كما ذكر الله في سورة الحج: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ * وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ * كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا

وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ [الحج:١٩-٢٢]، عذاب السموم.

وقال تعالى: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ * قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ** ﴾ [الطور:٢٥-٢٨]، هذا جعلك مستقيمًا، واحمد الله على أن جعلك سنيًّا؛ فإن الأمر خطير ما بين الإنسان وبين الجنة والنار إلا أن يموت، كما قال النبي ﷺ: «**إن أهون أهل النار عذابًا توضع تحت قدمه جمرة يغلي منها دماغه**»، فالحذر الحذر من الانحراف ومن الزيغ: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران:٨].

وقولُهُ: بِحِكْمَةٍ.

يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتليه عدلًا، قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ** ﴾ [آل عمران:١٥٤]، فالذي يعذبه الله سبحانه يعذبه بعدله، والذي يرحمه الله يرحمه بفضله، فبيده الخير سبحانه وتعالى، ولله الحكمة في ذلك من وجود النار ووجود الجنة، وجود الكفر، وجود الإسلام، وجود الحق، وجود الباطل، وجود الشيطان، وجود الرسل والأنبياء، كله حكمة.

قال النبي ﷺ في الحديث القدسي عن رب العزة: «**أنت الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء، وأنت النار عذابي أعذب بك من أشاء، ولكليكما علي ملئها**»، حكمة من الله عز وجل، وابتلاء من الله سبحانه وتعالى للعباد، لو لم يجعل الله سبحانه وتعالى كفرًا وإسلامًا، وحقًّا وباطلاً، وجنة ونارًا؛ لَـمَا أقام الله الجهاد، ولَـما أقام الله طلب العلم، وكذلك يعرف الحق من الباطل، وأمر بمعروف ونهي عن المنكر، وكذلك فيما يتعلق بسائر الابتلاءات التي ابتلى الله بها العباد، قال تعالى: ﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ [الملك:٢]، وقال سبحانه: ﴿ **وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ** ﴾ [البقرة:٢٢٠].

ألف ابن القيم رحمه الله كتاب "شفاء العليل في الحكمة والتعليل"، ومن حكمة ابتلائهم، قال تعالى: ﴿الٓمٓ * أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١-٣]، ابتلاءً.

وقال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١]، وقال عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢].

.وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾[النساء:١٠٤].

وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران:١٠٤-١٠٥].

فعلم من هذا أن الله خلق الخلق لحكمة، ما خلق شيئًا إلا لحكمة، وما أمر بشيء أو نهى عن شيء إلا لحكمة، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ * مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان:٣٨-٣٩].

يقول بعضهم: ما الحكمة من وجود إبليس؟ ما فيه إلا الشر.

يقال له: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦]، الحكمة: الابتلاء، وهكذا الكفر ما الحكمة من وجوده؟ يقال: الابتلاء، خلق الله الكفر وأهله؛ ليبتلي به المؤمنين، وليبلوا الناس بعضهم ببعض.

أمور قد لا يعلمها الإنسان، فيها الحكمة، ينبغي أن يذعن لأمر الله سبحانه وتعالى، الإسلام هو الاستسلام، والانقياد، والامتثال لأمر الله سبحانه وتعالى، ولطاعة الله عز وجل: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور:٥٤]، ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران:٣١].

السؤال: الذين يدخلون النار من أهل التوحيد إذا شاء الله أن يمحصهم بذنوبهم ويدخلهم النار يمحصون، هل هؤلاء يشملهم هذا البيت: أنهم أشقياء، وأنهم شقوا ودخلوا النار... إلخ؟.

الجواب: لا يشملهم، المقصود بالأشقياء هم الذين يخلدون في النار، وأولئك عذبوا بقدر ما عندهم من المعاصي، ومن كان من أهل التوحيد فهو من السعداء وإن محص في النار فمآله إلى الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:٤٨].

سؤال: الحديث الذي فيه: أن النبي ﷺ قال:«**يؤتى بالموت فيذبح بين الجنة والنار، ثم يقال لأهل الجنة: يا أهل الجنة يا أهل الجنة خلود فلا موت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود فلا موت..**»، متى يكون هذا؟

جواب: بعد خروج الموحدين حتى لم يبقَ إلا أهل النار فيها، يعني: أهلها الذين لا

يموتون فيها ولا يحيون، أما الموحدون لا يشملهم هذا الدليل، وليسوا أهل النار، إنما يمحصون إن شاء الله أن يمحصهم أو يعفو عنهم.

فائدة: قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور:١٦]، هذا الأمر في هذه الآية للتهكم.

السؤال: ما الجمع بين هذه الآية: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى * ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [الليل:١٤-١٦]، الآية تدل على أنه لا يصلى النار إلا الأشقى، وبين الأدلة الدالة: على أن الموحد قد يدخل النار إذا أراد الله تمحيصه بذلك؟ كما في أدلة الشفاعة... إلخ كما في حديث أبي سعيد ﵁: «**يخرجون فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل...**»؟

الجواب: لا يصلاها خالدًا فيها إلا الأشقى، أو: لا يصلاها من جميع جوانبه، أما الموحد المصلي فإن مواضع السجود لا تأكلها النار: ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ﴾ على الإطلاق ﴿إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾.

سؤال: «**يخرج عنق من النار، له لسان ينطق وله عينان يبصر بهما، يقول: وكلت بكل جبار عنيد وبمن دعا مع الله إلهاً آخر، وبالمصورين..**» ، هل هذا يدل على أن النار لها عينان تبصر بهما، ولها لسان تنطق؟

الجواب: نعم، في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾[الفرقان:١٢]، هذان الدليلان مع الحديث تدل على أن النار ترى وتنطق، وتقول أيضًا كما جاء في الحديث: «**قط، قط**» حين يضع الجبار قدمه فيها.

قوله: سَيَدْخُلُ.

ولو قرأها أحد (سيُدَخُلُ) بضم الياء؛ كان خطأً؛ لأن أهل الجنة يقال لهم: ادخلوا بسلام، فهم يدخلونها، أما أهل النار فَيُدْخَلون فيها، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟

ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

قوله: إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ.

قال النبي ﷺ لأم حارثة: «**إنها جنان في الجنة**»، وقال: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وما بين أن يروا ربهم إلا رداء الكبرياء**»، حديث أبي موسى رضي الله عنه، والله تعالى يقول: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٦٢].

وما جاء من الأدلة في أنها (جنة) يراد بها الجنس، أنها جنة وهي جنان، مثل سماء وسماوات: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات:٤٧]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [ق:٣٨]، السماء جنس السماء، ومثل الإنسان، ولا يراد به الواحد يراد به جنس الإنسان: ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:١-٢]، أي: جنس الإنسان، وليس واحد بمفرده.

وهذا البيت أيضًا كنظيره بعد أن ذكر الصراط، ذكر الجنة والنار، حيث إن من سقط إلى النار ومن تجاوز دخل الجنة، بعد أن يقتص بعضهم من بعض، على القنطرة التي بعد الصراط.

وسيدخلون بشفاعة النبي ﷺ، كما في حديث أبي هريرة، وجاء عن حذيفة رضي الله عنهما: «**يأتون آدم...، ونوح...، وإبراهيم...، وموسى...، وعيسى...، فيأتون النبي ﷺ...**»، فيشفع النبي ﷺ لهم، فيفتح له.

وهكذا أدلة في الباب أنهم يدخلون الجنة بشفاعة النبي ﷺ، وهم أهلها، ومنهم من يدخل الجنة بغير حساب كما في "الصحيحين" من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب ولا عذاب...**»، ثم قال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**».

هذه من فوائد التقوى العظيمة في الدنيا وفي الآخرة، ومن تلك الفوائد التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: النور، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

﴿يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الأنفال:٢٩]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [الحديد:٢٨].

وهذا النور ليس خاصًا في الآخرة، بل هو في الدنيا والآخرة، فقد رأينا أهل التقوى وأهل الحديث وأهل السنة والاستقامة يمشون على بصيرة على توفيق من الله سبحانه وتعالى؛ بسبب ما آتاهم الله منه وهم بشر وغيرهم بشر، بسبب الاستقامة والخير، وتقوى الله من أوسع أسباب الرزق، سبق ذكر بعض ذلك: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، يجعل له مخرجًا من الفتن، ومن الأعداء، وكذلك من سائر ما يضره من سائر الأشياء، يجعل له كذلك مخرجًا من الذنوب ومن القلاقل، ويجعل له مخرجًا من النار، ما يدخل النار -إن شاء الله- وهو ما يزال على تقوى، يجعل له مخرجًا في حالة عبوره على الصراط، مخرجًا عند الميزان، مخرجًا عند تطاير الصحف، وفي سائر حياته والله يجعل له مخرجًا من جميع المهلكات ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٣]، والله، لو حققنا تقوى الله؛ لسعدنا في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء:٣٢].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦].

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء:٦٦-٦٨].

وفي الآية الأخرى: ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [المائدة:٦٥]، فتقوى الله سعادة في الدنيا، وسعادة في الآخرة، هذه من فوائدها في الدنيا، والفوائد العظمى للتقوى في الآخرة كما سيأتي إن شاء الله بيان ذلك.

من فوائدها أيضًا: أنها خير لباس، قال تعالى ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف:٢٦]، وأنها خير زاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، لو كان ملك الإنسان ملء الأرض وهو على غير تقوى؛ فإنه لا يعتبر متزودًا، خير زاد تقوى الله سبحانه وتعالى، تقوى الله تعتبر كرامة عظيمة للعبد، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال النبي ﷺ حين سألوه: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: **«أتقاهم»**، فقالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **«فيوسف نبي الله، ابن نبي الله، ابن نبي الله، ابن خليل الله»**، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: **«فعن معادن العرب تسألوني؟ خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا»**، وقال ﷺ: **«فالناس رجلان: برٌّ تقي كريم على الله، وفاجرٌ شقي هين على الله، والناس بنو آدم، وخلق الله آدم من تراب»** الحديث.

فعلى المسلم أن يلازم تقوى الله سبحانه وتعالى في ليله ونهاره، وسره وجهاره، يجعل بينه وبين الله عز وجل وقاية من عذابه بطاعة الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، وقد ذكروا في تعريف التقوى: أنك تجعل بينك وبين الله وقاية من عذابه، من باب قول الشاعر:

سقط النَّصِيفُ ولم تُرِدْ إسقاطَه ... فتناولتْه واتَّقَتْنا باليَدِ

وقول الآخر:

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيْرَهَا ... وَكَبِيْرَهَا ذَاكَ التُّقَى

وَاصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ... ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ مَا يَرَى

لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيْرَةً ... إِنَّ الْجِبَالَ مِنَ الْحَصَى

يقول الله عز وجل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾

[القمر:٥٢-٥٣]، حتى طلب العلم، لو أن إنسانًا طلب العلم بغير تقوى؛ لقصد شهادة، لقصد كذا، لا يفلح فيه، وقد يحصل على علم لا يبارك الله فيه، ولو كان ذكيًا ما يكون مبروك الثمرة، مبروك الحصيلة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٢].

إن الله عز وجل ما وصى الأولين والآخرين بها إلا لأهميتها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

وأما من ثمارها في الآخرة، فقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص:٤٩-٥٤].

ما هو منتهي، ولا يفنى، لا تفنى الجنة، ولا تفنى النار، لا تفنى ولا تبيد، والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان.

ومنها: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [محمد:١٥].

ومنها: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾ [الرعد:٣٥]، ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٣٠].

وفي "الصحيح" أن النبي ﷺ قال: **«إن للمؤمن في الجنة شجرة يسير الراكب فيها مائة عام على الجواد المضمر لا يقطعها»**.

ويقول ﷺ: **«أهل الجنة لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون، وإنما طعامهم يذهب**

جشاء كرشح المسك».

أهل الجنة لا يجوعون فيها أيضًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه:١١٨].

وأهل الجنة لا يهرمون ولا يبأسون، ففي "صحيح مسلم" من حديث أبي سعيد و أبي هريرة رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: **«يقول الله عز وجل: يا أهل الجنة، إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا»**، هذه الأشياء الأربعة ليست في الدنيا، أبدًا ما منها شيء في الدنيا، حياة بلا موت ليست موجودة، صحة بغير سقم ليست موجودة، شباب بغير هرم ليس موجود، نعيم بلا بؤس ما هو موجود، لا بد أن يحصل في الدنيا الكبد والنكد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد:٤].

ولا بد أن يحصل فيها أيضًا الألم؛ قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء:١٠٤]، وقد يحصل الابتلاء على المستقيم أكثر من الفاسق والضال، **«يبتلى المرء على قدر دينه»**، ولا يسلم من هذه الأشياء برٌّ ولا فاجر، وقد أحسن من قال:

ثمانيــة لابــد منهــا عــلى الفتــى ... ولا بــد أن تجــري عليــه الثمانيــة

سرور وبــؤس واجــتماع وفرقــة ... ويــسر وعــسر ثــم سـقم وعافيـة

على الفتى، سواء كان برًّا أو فاجرًا لابد له من ذلك.

وكما في الحديث: **«المؤمن يصبغ في الجنة صبغة واحدة، فيقال له: هل مر بك بؤس قط، هل رأيت شدة قط؟ فيقول: ما مر بي بؤس قط ولا رأيت شدة قط، والكافر يصبغ في النار صبغة واحدة، فيقال له: هل رأيت نعيمًا قط؟ يقول: والله، ما مر بي نعيم قط»**.

ولو كان من أثرى أهل الدنيا، يؤتى بأنعم أهل الدنيا، ويغمس ويجيب بذلك

الجواب «ما رأيت نعيمًا قط»، والحديث في "الصحيح".

يا إخوان، الدنيا زائلة والله، الدنيا ما تساوي عند الله جناح بعوضة، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]، وقال: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]، ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤].

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه أيضًا: «يؤتى من أهل الجنة ممن هو آخر واحد يخرج من النار وآخر واحد يدخل الجنة، فيقال له: اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول: يا ربي وجدتها ملأى. فيقول: اذهب فادخل الجنة؛ فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، أو إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا. فيقول: نعم»، آخر واحد يدخل الجنة له مثل الدنيا وأمثال الدنيا، بعضهم في غفلة عن هذا الخير الذي شمر من أجله المشمرون في طاعة الله.

قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد:٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ❁ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٤].

هذه الأدلة تدل على أن الجنة معدة جاهزة موجودة، وحديث جابر رضي الله عنه أيضًا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من قال لا إله إلا الله غرست له نخلة في الجنة».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي إبراهيم عندما أسري به، فقال: «يا محمد، أخبر أمتك أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، و الحمد لله، ولا إله إلا الله» الحديث فيه ضعف، فيه: عبد الرحمن بن الحارث، وفيه ضعف كما في ترجمته.

فهذه الأدلة تجعل الإنسان الموفق شديد النظر إلى الآخرة وإلى ما يقربه إلى الآخرة ويبعده عن عذابه، الجنة: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الزخرف:٧١]، لحوم الطيور، والفواكه، ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرحمن:٥٢]، ومن أراد المزيد من ذلك يقرأ سورة الرحمن ينظر ما أعد الله للمؤمنين؛ فقد وصف الله الجنة في سورة الرحمن وصفًا عظيمًا.

وكذلك في سورة الواقعة، قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ * فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ * وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ * وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً * فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا * عُرُبًا أَتْرَابًا * لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة:٢٧-٣٨].

وقول النبي ﷺ: «**المؤمن له خيمة واحدة من لؤلؤة مجوفة طولها في السماء ستون ميلًا**»، أين هذا أن يوجد طولها في السماء ستين ميلا؟ والميل بعضهم يقول: إنه ألف وستمائة ياردة، يعني: أكثر من كيلو، أين هذا؟ أن يكون ألف وستمائة كيلو في السماء، حتى بالكيلو فقط أمور عظيمة في الدار الآخرة لمن وفقه الله.

ما بين العبد والجنة والنار إلا أن يموت، إنه خطر يجعل الإنسان في رعب، ما يدري متى يموت، وإلى ماذا يصير، فهو يخاف على نفسه من عذاب الله، وأن يحرم من هذا الخير؛ ولهذا حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «**فإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها..**» الحديث.

قال أهل العلم: هذا الحديث قاصم للظهر، فمن الناس من يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، وما يدري إلا وقد سبق عليه ذلك الكتاب، وقد عرفتم الذين ساءت خاتمتهم، يبقى على خير فيما يبدو للناس، وفي ظاهر الأمر، ولا يدري إلا والخاتمة سيئة، يختم له بكفر، أو يختم له بنفاق اعتقادي، أو يختم له بشرك بالله

أكبر، أو يختم له بسوء الحال، هذا خطير على العبد نسأل الله حسن الختام.

وهكذا الحرمان من الجنة للذي ما يعمل بالأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف:١٠٧]، (نزلاً) ضيافةً وإكرامًا، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨]، ما من مكان تسكن فيه ولو كان من أرفه الأماكن، إلا والإنسان يحتاج للخروج يتفسح، أما الجنة لا يبغون عنها حولًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس:٥٥-٥٦].

﴿فِى شُغُلٍ﴾ قال أهل العلم عند هذه الآية: الشغل معناه: الأبكار الزوجات، وهذا أين؟ يتزوج الإنسان امرأة إذا جاء لها أول مرة بكر، وبقية الأوقات مع الولادة لا يوجد بكارة في الدنيا، مرة واحدة وانتهت، وفي الجنة ﴿فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥].

وهكذا يذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه يقول في كتابه الكريم مبينًا ما أعد الله للمتقين أن الجنة ما فيها حتى ضيق صدر: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر:٤٧]، هل هذا حاصل في الدنيا الآن؟ أبر الناس، وأتقى الناس، وأصلح الناس لا بد أن يضيق صدره، ولا بد أن يجد من الأعداء مهما كان عنده من الخير وهو ليس بمعصوم، إذا كان رسول الله ﷺ وسائر الرسل وهم معصومون حصل لهم أعداء، يقول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٧-٩٩]، وقد أرادوا قتله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧]، فما بالك بغيره ﷺ.

فما في الدنيا مما في الآخرة إلا من الأسماء، وإلا ففواكه الجنة، ونعيم الجنة ليس منه في الآخرة إلا الأسماء، كما يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: «**أعددت لعبادي الصالحين ما**

لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾» [السجدة:١٧]، وكما قال الله: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥].

ليس معناه: إلا أنه يأتي بالتشابه، ولكن اللون يختلف، والطعم يختلف، تفاحة مع تفاحة نفس اللون، ولكن هذا طعم، وهذا طعم آخر، تمر مع تمر مثلًا، نفس اللون، وهذا طعم آخر، وهذا طعم آخر، وهكذا سائر الألوان: لا مقطوعة بزمن ولا ممنوعة بثمن: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٣] ليست مقطوعة، وتحتاج أن تدفع فيها دراهم، وليست بصعوبة أيضًا وتتكلف فيها: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٣-٢٤].

هنيئًا لمن وفقه الله لتقواه سبحانه، يسعد في الدنيا والآخرة، والله، إن الأعداء لا يستطيعون الكيد للمتقي إلا أن يشاء الله، قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران:١٢٠]، إذا تحقق الإيمان والتقوى في العبد؛ فإنه يكون سعيدًا ولو تألب عليه الأعداء، قال ﷺ: **«احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، وإن اجتمعوا على أن ينفعوك لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»**، ثبت من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عند أهل "السنن" وغيرهم، أوصاه النبي ﷺ بذلك.

الجنة الآن موجودة؛ للأدلة السابقة، وكذا أيضًا النار كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ:٢١-٢٣].

وقال أيضًا في آيات كثيرة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٢٤/آل عمران:١٣١]، (أعدت)، أي: جهزت، وتناول النبي ﷺ قِطفًا من الجنة، وقال: **«لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا»**، وليلة أسري به ﷺ رأى رجالًا ونساءً في النار على مثل التنور يأتيهم اللهب من أسفل، ورأى أكثر أهل النار النساء، وأكثر أهل الجنة فقراء.

وهكذا أيضًا لما أسري بالنبي ﷺ رأى قصر عمر رضي الله عنه، ورأى بفنائه جارية، فقال ﷺ: **«فقلت لمن هذا؟ فقالوا: لعمر. فأردت أن أدخله فأنظر إليه، فذكرت غيرتك»**، فقال: أمنك أغار يا رسول الله؟.

الجنة والنار لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان، أما من حيث الفناء فقد سمعتَ قولَه الله عزوجل: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد:٣٥]، وقولَه سبحانه: ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف:١٠٨].

الجنة ما تفنى، ولا النار أيضًا تفنى، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ * لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨].

ويقول عزوجل: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٨-١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم:١٣-١٥].

وقال سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ [المطففين:١٨-١٩].

وهكذا الجنة هي جنة الخلد، وهي التي أخرج منها آدم عليه الصلاة والسلام، وهو قول أهل السنة: أن الجنة التي أخرج منها آدم هي جنة الخلد، وليس مجرد بستان؛ لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣]، والهبوط يكون من أعلى إلى أسفل، والبساتين تكون في الأرض، وليس مجرد بستان: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٨-١١٩]، هذا ما يحصل بمجرد بستان، ما فيها جوع ولا فيها عرى، صاحب البساتين مهما كان بستانه سيحصل له جوع، سيحصل له عرى.

ومن الأدلة على ذلك: ما جاء من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما في "صحيح مسلم" في حديث الشفاعة: «...، **فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم...**».

فهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها آدم عليه الصلاة والسلام جنة الخلد، وليست مجرد بستان، والقول أنها مجرد بستان قول فيه مخالفة لبعض الأدلة، والولي الذي أعد الله له هذا الخير هو المؤمن التقي؛ لقول الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣].

صفات المتقين في القرآن كثيرة، ومنها: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧].

ومنها قوله تعالى: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:١-٢]، ولا يستطاع حصر ما أعد الله للمتقين، وأوصاف المتقين في هذا الموضع، وما أكرمهم الله في الدنيا والأخرى.

فائدة: الجنة في اللغة: الذي يستجن فيه، وقيل للقلب: جنان؛ لأنه داخل الصدر، والبستان يقال له أيضًا جنة: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن

رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥]، ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۞ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾ [القلم:١٧-١٩].

فائدة: أن النار في أسفل سافلين بدليل: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]، وحديث البراء فيه: «...، يقال: اكتبوا كتاب عبدي في سجين، أعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقته وفيها أعيده...».

والجنة في السماء؛ للحديث المذكور وفيه: «اكتبوا كتاب عبدي في عليين»، وقول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨].

فائدة: الجنة والنار موجودتان الآن ووجودهما ليس بعبث كما تقول المعتزلة، فمن الأدلة على وجود الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد:٢١]، والنار معدة وعلى ذلك حديث البراء رضي الله عنه: «تفتح له نافذة إلى النار، فيأتيه من سمومها..»، وقوله تعالى: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف:٥٣].

سؤال: المرأة إذا ماتت ولم تتزوج وهي صالحة هل تتزوج في الآخرة؟

الجواب: نعم، قال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف:٧١].

وقال تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:٥٥]، وهذا عام في الجن والإنس، وكل من مات ودخل الجنة ليس فيهم شيبة ولا هَرِم، كلهم شباب على صورة القمر ليلة البدر، على طول أبيهم آدم عليه السلام.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

وَلِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ في قَبْرِهِ عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناكَ وَيُسْأَلُ

قوله: وَلِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ.

خرج ما ليس بعاقل، لا يعني أن المجانين ما يبعثون وما يحاسبون، وليس لهم عمل، إنما المقصود: الحيوانات التي ليست بمكلفة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ [النبأ:٤٠].

قال النبي ﷺ: «...، فَيَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ إلا الثَّقَلَيْنِ الإِنْسَ وَالْجِنَّ ، فَيَقْضِي اللهُ بَيْنَ الْوُحُوشِ وَالْبَهَائِمِ حَتَّى إِنَّهُ لَيُقِيدُ الْجَمَّاءَ مِنْ القرناء، فَإِذَا فَرَغَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ تَبْقَ تَبِعَةٌ وَاحِدَةٌ لأُخْرَى، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا : كُونِي تُرَابًا. فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا، ثُمَّ يَقْضِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ الْعِبَادِ».

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير:٥]، وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٣-٩٥] فهي تحشر، ويقاد بين الناطحة والمنطوحة ثم تكون ترابا، ما عليها حساب.

روى الإمام مسلم في "صحيحه" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء».

يقاد للناطحة من المنطوحة، وهذا دليل يقول النووي رحمه الله: هذا دليل على حشر الحيوانات، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا

﴿ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۢ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف:٣٣].

قوله: في قبره.

ما كل حي يقبر، قال تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ * مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ * ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ * ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧-٢١]، هذا على الغالب، منهم من تأكله السباع، ومنهم من يذهب به السيل، ومنهم من يحترق ويذهب رمادًا، ولكن لابد من أن يناله عذاب القبر إن كان له أهلًا، أو نعيم القبر إن كان له أهلًا، وأنه يخرج للموقف، وأنه يرى عمله، ويجري عليه شئون القبر وأمور القبر، من ابتلاء وفتنة.

وفرق بين الفتنة وبين العذاب، الفتنة لا يسلم من فتنة القبر إلا من استثني بدليل، مثل الشهداء؛ لحديث: «**كفى ببارقة السيوف على رءوسهم فتنة**»، وهكذا المرابط في سبيل الله؛ لحديث: «**كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله؛ فإنه يُنمى له عمله الذي كان يعمله، ويؤمن الفتان**».

وهكذا الأنبياء يُسأل عنهم: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]، وقول النبي ﷺ في حديث البراء ذكر أنهم يسألون، وجاء بنحوه عن أنس رضي الله عنه في سؤال الإنسان: «**من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟**»، فيسألون عن الأنبياء.

ومما يدل على ذلك: أن أمة نوح تسأل عن نوح، يسألهم الله سبحانه وتعالى يوم القيامة: «**فيقول له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته فيشهدون أنه قد بلغ، فذلك قوله جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾**»

[البقرة:١٤٣]، الحديث.

فعلم من هذا: أن قوله في هذا البيت (ولِكُلِّ حَيٍّ عاقِلٍ في قَبرِهِ) خرج ما ليس بعاقل، والمجنون الذي قد جنّ بعد أن كان عاقلاً هو ممن يشمله هذا أنه من جنس الحيوانات، من جنس المكلفين، المجنون يحاسب على عمله قبل جنونه إن مات وهو مجنون؛ فإن جن قبل البلوغ واستمر به الجنون فهذا ينطبق عليه حديث الأسود بن سريع: «**أربعة يمتحنون يوم القيامة...**» وذكر منهم: «**الهرم يقول: جاءني الإسلام ولا أعقل شيئًا**».

أما إن كان قد عمل صالحًا، ثم جُن؛ فإن الحساب على عمله ذلك الصالح، وفي حال جنونه مرفوع عنه القلم؛ لحديث: «**رفع القلم عن ثلاثة...**» ومنهم: «**المجنون حتى يفيق**».

وهكذا إن كان يعمل السيئات ثم جُنَّ، فالحساب أيضًا على الأيام التي لم يجن فيها، التي عمل فيها السيئات، وفي حال جنونه القلم مرفوع عنه.

قولهُ: عَمَلٌ.

قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ**﴾ [الزلزلة:٧-٨]، وقال سبحانه: ﴿**وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ**﴾ [الأنبياء:٤٧]، هو يرى عمله، ما إن يموت إلا ويعرض عليه مقعده من الجنة أو مقعده من النار.

وكما في "الصحيحين": «**إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم؛ فإن كانت صالحة قالت: قدموني. وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها. يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعه لصعق**»، دل على أنه قد رأى عمله.

وكما في حديث البراء رضي الله عنه الطويل أن العبد إن كان صالحًا: «**يُمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْهِ، طَيِّبِ الرِّيحِ، حَسَنِ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ، أَبْشِرْ بِرِضْوَانٍ مِنَ**

اللهِ وَجَنَّاتٍ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ. فَيَقُولُ: بَشَّرَكَ اللهُ بِخَيْرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الحسن الَّذِي جَاءَ بِالْخَيْرِ. فَيَقُولُ: هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»، وإن كان غير صالح: «يُمَثَّلَ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ قَبِيحِ الْوَجْهِ مُنْتِنِ الرِّيحِ قَبِيحِ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ. فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي جَاءَ بِالشَّرِّ. فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ».

وإذا ذكرتَ الملائكة لا تقل: ذلك الملك قبيح الصورة. ما يصلح هذا، وإنما يأتيه في تلك الصورة، صورة رجل قبيح المرآة، أما أن يقال: فيأتيه ملك قبيح المرآة لا، لا يصلح هذا، الملك ما هو قبيح المرآة، وإنما يأتي بتلك الصورة، وقد جعل الله لهم قدرة على التكيف، فقد أتى جبريل بصورة دحية، والأحاديث في ذلك كثيرة.

وهذه الفتنة التي يفتن بها الناس، إلا من تقدم استثناؤه، شاملة للكافر والمسلم، وللذكر والأنثى، من سائر المكلفين.

حكم الأطفال:

استدلوا بحديث: «**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وصغيرنا وكبيرنا، وشاهدنا وغائبنا**»، وله طرق عن أبي هريرة، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، الأشهلي، عن أبيه، عن نحو ثمانية، بمجموع طرقه يحسن، وفيه: «**وصغيرنا وكبيرنا**» استدل القرطبي، وابن القيم في كتابه "الروح" أن الأطفال غير المكلفين يفتنون في قبورهم.

ومن أدلة عذاب القبر لمن كان له أهلاً:

حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين وقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**».

ومن الأدلة أيضاً على عذاب القبر:

قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ

ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

وكذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [السجدة:٢١].

عذاب القبر ثابت بالكتاب وبالسنة، وبإجماع المسلمين، وفتنة القبر ثابتة بالسنة وبإجماع المسلمين، وأول منازل الآخرة هو القبر: **«من نجا منه فما بعده أيسر، ومن لم ينجُ منه فما بعده أشد»**، ثبت هذا عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حين كان يبكي حتى تخضل لحيته.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:

هــذا اعتقــادُ الــشافِعيِّ ومالــكٍ وأبي حنيفــةَ ثــم أحــمدَ يُنْقَــلُ

الثلاثة نعم، بلا شك: مالك، والشافعي، وأحمد، أما أبو حنيفة فعليه مؤاخذات في بعض المسائل، أما هذه المذكورة هنا فمتفق معهم فيها.

قوله: اعتقادُ الشافِعيِّ.

هو محمد بن إدريس، أبو عبد الله من آل البيت.

ومالك بن أنس إمام دار الهجرة الأصبحي أصله من اليمن.

والإمام أحمد: هو أحمد بن محمد الشيباني أبو عبد الله الشيباني.

وأبو حنيفة: النعمان بن ثابت، وكلهم لهم تراجم مستقلة موسعة.

قوله: فإنِ اتَّبَعْتَ سبيلَهُمْ فمُوَفَّقٌ.

أي: سبيل الصحابة والتابعين، ومن بعدهم كذلك كالأئمة الأربعة وغيرهم من أئمة السنة، (فموفق) من الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران:١٥٤].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص:٥٦]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»**.

فليس المقصود في قوله رحمه الله: (**فإنِ اتَّبَعْتَ سبيلَهُمْ**) التقليد، فالتقليد في دين الله لا يجوز، أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما كانوا مقلدين، وفي القرون الأولى الثلاثة ما كانوا مقلدين، وهؤلاء الأئمة رحمة الله عليهم نهوا ونأوا عن التمذهب، ما كانوا متبعين لمذهب من المذاهب.

التقليد: هو اتباع من ليس بحجة بغير حجة، هذا هو التقليد، والله يقول: ﴿وَمَآ

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

والمبتدعة لا يعول عليهم، ما عليهم تعويل، لا في تلقي، ولا في حضور محاضراتهم، ولا في سؤالهم عن الفتوى، ما يعول عليهم، من عظَّم صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام.

وهكذا أيضًا قال أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي: لأن يمتلئ بيتي قردة وخنازير أحب إلي من أن يمتلئ مبتدعة.

وذكر الآجري في "أخلاق العلماء" وفي "الشريعة": لا تأخذوا عن أهل الأهواء؛ فأني أخشى أن يغمسوكم في البدعة، أو يلبسوا عليكم دينكم.

وذكره غير واحد من أهل العلم بسند صحيح، فهذا منهي عنه، فلا يعول على أهل البدع.

قوله: فَما عَلَيْكَ مُعَوَّل.

إنما التعويل في الزمن الماضي والحاضر، والذي يثق به الناس ويستفيد منه الناس: هو السني، الموفق، الثابت على كتاب الله وسنه رسوله ﷺ المتجرد عن التقليد الأعمى، والله الموفق.

انتهى ما قصدنا تعليقه على هذه المنظومة المفيدة، في عقيدة أهل السنة والجماعة.

فهرس الموضوعات

فَهْرَسُ الأَحَادِيْثِ وَالْفَوَائِد